حاجتنا الى تطور تربوي

بقلم نسيم نصر

لم يعرف تاريخ البشرية ، منذ فجره حتى اليوم ، مرحلة حافلة بالاحداث الهامة والانقلابات العميقة الجذور ، والجديد الباهر ، في شتى ميادين الحياة ، مثل هذه البضع والاربعين سنة التي بدات في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فمن راقب تقدم الصناعة وانتشارها حتى عمت بلادا لا عهد لها بالاسواق الصناعية ، ونظر الى العلم يفسر حقائق الكون تفسيرا مستحدثا ، ورأى العلماء يكشفون عن قوى خطيرة خطرة فيها للخير العميم وفيها للشر الرهيب ، كان لا بد لهذا المراقب من ان يقتنع بان التطور التربوي ، في بلادنا ، لم يبلغ حتى الان المستوى الذي يؤمن مجاراته التطورات التي تتناول سائر وجوه الحياة . واذا كان من حقنا ان نطمئن الى وجود عدد من ذوي الاختصاص بالتربية ، قد اصبحوا يباشرون مسؤوليات عملية في نطاق عملهم ، فان من واجبنا ان نضاعف هذا الاطمئنان بما اجدته علينا التجارب المحلية والوان الحياة الموروثة من دروس يجب ان ناخذ بها في مهمة الاعداد والتنشيء . فالاجيال الجديدة ، في كل امة لا تستغني عن ان تستمد بعض مقومات شخصيتها من مميزات بيئتها لتتماسك روابطها الخلقية والاجتماعية ، والا فقدت اصالتها ، وضعفت مناعتها ، وتجاذبتها عوامل القلق ومفاسد الاستقرار .

ولما كانت شعوب هذا الشرق العربي من اشد شعوب الارض تأثرا بالموروث الداخلي من العادات والتقاليد والمعتقدات ، ومن اكثرهم اخذا بالمكتسب الخارجي في الافتنان بألوان الحياة ، كان اول ما يجب أن نتنبه له ونحترز منه هو هذا التهافت على الخليط المتنافر الاجزاء ، المتنابي القسمات ، المجتمع علينا من الداخل والخارج ، محاولا ان يطغي على بلادنا فيشوه معالمنا ويفسد علينا مقاييس الحسن والقبح والخير والشر . وكل نهج تربوي مستحدث لا يتصدى ، قبل ان يخرج الى حيز التطبيق ، لهذه الموروثات المنتهية الينا من حضارات الماضي وثقافاته وعاداته ومعتقداته ، فيأخذها بالتهذيب ، مستبقيا منها ما بقي صالحا لحركة الحياة المتطورة المتراقية ، فانه نهج ينحرف عن الجادة التي يجب أن نعتمدها طريقا الى غد افضل . والجيد من موروثنا ، الذي نحافظ عليه ، بولاء نوشك ان نقدسه ، هو نفسه يقتضي ، في كثير من الحالات ، إن نقويه ونلائمه وروح العصر بالمختار من مقتبسات التربية الحديثة نأخذه عن البلاد السباقة في هذا المضمار .

وكانا ما نزال ننتظر ان تنتهي معركة الصراع بين عوامل المحافظة على الموروث تعقبا منا لشخصيتنا التاريخية . وبين دوافع الاخذ بالتجديد حبا بالتغير وسيرا مع حركة الزمان ، حتى نأخذ في التحول الجماعي المفروض على الاجيال الطالعة . ولكن انتظارنا يشوبه ان معركة الصراع هذه اوشكت ان تتشعب الى فتن ، تنشب هنا وهناك ، بين متناولات المعقول التي يجب ان تتحول الى مبادىء وطنية وبين نزعات القلوب التي يجب ان تتلاقى في حب الوطن بدلا من ان تتجمد في عصبيات تفرقنا وتفسد فينا طاقات تهيئة الغد الذي نرجوه .

اذن حاجتنا الى التطور التربوي ليست حاجة سهلة التناول قريبة المدى . . ! انها الحاجة الى الحياة نفسها عمقا واتساعا . وليس في زعمنا ان حاجتنا الى هذا التطور هي الحاجة الى الحياة نفسها ، شيء من المبالغة بعد ان اوشك المدى السلبي ، بين الاب وابنه والام وبنتها ، ان يبلغ احيانا حد التفريط في حد لا نعرف اشدمنها لاقسى العداوات وهذه السلبية العائلية ناشئة ، في الغالب ، عن تيارات الانقلاب العاصفة في معاني وجودنا واحوال عيشنا واعماق انسانيتنا . فكان خروجنا من الكبت ، الذي كنا نعانيه ومن الجهل الذي كنا نعيش فيه ، خروجا مفاجئا سريعا لم نتهيأ له فلم نستطع ان نفيد منه . فاذا نحن في حرية تمسي شيئا من العبث واللامبالاة ، واذا نحن على علم وفن يخالطهما بعض الزوغان والغرور .

واذن فمهمة التربية الوطنية في بلادنا ، شاقة دقيقة ، يجب ان نجند لها الجانب الاوفر من طاقاتنا المعنوية والمادية لنزيل شيئا فشيئا اثر المفاجأة بما نرسخ في النفوس والافهام من معاني قيم الانسان وما نقيم من اواصر بين ضمير الفرد ووجدان الجماعة ، وما نحدثه من مؤالفة بين ما نتخذه من تراثنا اصيلا قويما وما نقتبسه من المستورد الداخل علينا جديرا بنا مجديا لنا . ولن نطمئن الى هذه المهمة ، فاعلة فعلها الحقيقي تاركة جدواها المنتظرة ، ما لم نعمد الى استكمال عناصر الاستعداد في تنويع الكفاءات ورفع مستواها حتى تواجه مسؤولياتها على سوية صالحة من المعرفة والنشاط والضمير في سائر ميادين الاعمال .

والمعارف الانسانية خلاصة ما احرزه العقل البشري من المفاهيم الادراكية والحقائق الكونية لا تكون صالحة في حيز التنفيذ ما لم نقوها بالكفاءة الفنية ، هذه الكفاءة التي لا حصيلة محمودة لها الا بالتمرس العملي والدأب الصابر ، ونحن ما نزال في كل ما نهم به هواة ارتجال وغواة بديهة ، بالارث والتربية . ولكي نضع ناشئتنا في طريق التحصيل

المثمر علينا أن نعيد لهم مناهج صحيحة الاتجاه ، تعلم ، اول ما تعلم ، الرغبة في الاستزادة من المعرفة باستمرار الى جانب الشعور بالمسؤولية في كل حق وواجب . فلا يبلغ الناشىء سن المراهقة حتى يكون تحفزه لتحقيق ذاته، على مسرحة وجوده ، قائما في حدود الوعي على حقيقة انسانية ، وعيا مدروسا يطمان الى سلامته وصواب طريقه في نطاق المواطنة الصالحة . فمن حق طلابنا علينا ان ندخل لهم في المناهج المدرسية اوجها من النشاط الخارج عن جادة الدراسة ، التي الفتها المدرسة في حدودها ، من مثل اشراكهم في تحمل مسؤوليات حياتهم المدرسية ، واخذهم في محاولة الانتاج الادبي او العلمي والفني تحت اشراف موجه ودراية تساعد على توليد الثقة بالنفس . ولا بد ، الى جانب هذا كله ، من وضع النشاط الرياضي في مرتبته التي يستحقها من حيث التربية الخلقية ، بتنميها التربية البدنية . اذ يصبح الشعور بالقوة باعثا على القتال ، موحيا بالتسامح ، مشعرا بقدسية النظام اختيارا لا قسرا .

اما مكان الهوايات كالرسم والصحافة والتمثيل والرحلات فلا مفر لنا من افساح المجال لها وبذل الجهد في ضبطها وتوجيهها حرصا على المواهب من الهدر وتوفية لاسباب الحياة التي يقتضيها العصر .

كل هذه المناحي من النشاط المتمم لمقومات الحياة كما تتناولها المفاهيم الحديثة ، كلها تؤلف ، من حياة الطالب ، الفرص الثمينة للكشف عن القيم الكامنة في انسانه الطري، وتفتح أمامه السبل الاجتماعية الجديدة القويمة لبناء العز الذي ننشده في تطور تربوي .

واذا صلح تدريب الطالب في هذه الفرص التي نسميناها ثمينة ، تفتح ضميره الخلقي على قبس من نور التمرس بالتبعة التي اختار القيام بها ، فتسهل عنده ولادة الضمير المهني الذي لا بد من وجوده مسيطرا ليصلح الفرد في حياة الجماعة ، ايا كان العمل الملقى على عاتقه ، وايه كانت المهنة التي اختارها بنفسه لنفسه .

وهكذا يبدو لي ، من خلال التجارب الكثيرة التي عانيتها او عاينتها ، ان الكثرة من شباننا المتخلفين عن ركب الحياة الحديثة ، هم اولئك الذين قصر والدوهم عن تلقينهم مبادىء تربية متطورة ، هم ، الوالدون ، لم يتلقنوها . وبعثوا بهم الى المدرسة فلم تكن المدرسة ، غالبا ، خيرا من البيت الوالدي . ولماذا لم تكن كذلك، لاننا ، حتى اليوم ، ما نزال مقصرين في توفير الضمانات التربوية الحديثة لتجدها كل المدارس في كل المعلمين ... وليس لاي جهد بناء اثر مجد لمن لم يكن الجهد في اعداد المعلم اعدادا تربويا متطورا ، سابقا لكل جهد ... فهناك مكان الاساس ، وخير البناء ما قام على اساس مكين .

نسيم نصر

نفحة من الشرق

هبطت بعد انتظار طال مشبوب الاوار
حلوة خف على مرحبها الورد بداري
في موانىء النور حطت من عيوني في القرار
تنشر الاطياب ما بخد ؟ وما شم العرار
من شذي السوسن فيها وعبير الجلنار
ومن التجواب في الليل باحضان البراري

مرحبا بالصحو بالشمس بكرات الكنار
بالذي اخباره عندي كاقداح العقار
قصص من عبقر تخفق في شدو القماري
ليس من ينشرها غير تسابيح البهار

هذه النفحة من ارضي ، وافاق دياري
من ربوعي معدن الدر وينبوع النضار
وطن جرر تحت الشمس ، أذيال الفخار
رحت اتلوها سطورا من رؤى شبت بنار
فتحت افقا لعيني مليئا بالجواري
يتهادين على الانغام في شوق مثار
اذرع تضرع اقدام خطاها في انبهار
واستدارات كأن الافق منها في دوار
وهي تمضي في صعود ثم تهوي في انحدار

اي دنيا أنا منها في اندهاش ... وخمار
حلم من شهر زاد ؟ في ليالي شهريار

كمبرج — **احمد امين**

رثـــاء كامـــل كيـــلاني

لطاهر الطناحي

مدير تحرير مجلة الهلال

عوض الله منك اهل البيان　　وحماة الفنون والعرفان
راعهم خطبك الجسيم، فباتوا　　لا يلبون داعي السلوان
كنت نعم الاديب فى لغة الضا　　د ، ونعم المنير للاذهان
كنت تروي العقول والانفس الظمـاى بصاف من اللطاف الحسان
فبعثت الدفين في الادب العا　　لي ، وهذبت ناشىء الفتيان
وخدمت الجيلين خدمة من او　　فى ، واعلى منارة البنيان
لم يمت من له على النشء فضل　　في جميع الاجيال والبلدان
لم يمت باسث المعري في النا　　س ، ومحيي رسالة الغفران
كل جفل شهدته كنت تزجي　　فيه شعرا من معجزات الزمان
لا يجاريك في الرواية راو　　لطريف وتالد في المعاني
كنت كالاصمعي فى سعة الحفـ　　ـظ وتصريفه بخير لسان
أو كمثل الزمخشري فى دقة اللفـ　　ـظ وتفسيره من القرآن
كم رويت الجميل من كل لون　　وأثرت الجمال في الوجدان
عجب الناس كيف يهدا هذا الـ　　بحر من ثورة ومن غليان

* * *

قد قضيت الحياة فى السعي والدا　　ب لام اللغات والتبيان
وطويت السنين طي كفاح　　وغرام بالنفع والاحسان
وعكوف على الكتابة والتأ　　ليف ، تنثني قلائد العقيان
مستمدا من الشقاء نعيما　　مستعينا بالعزم والايمان
نهصرت الشباب وهو نضير　　ولحقت الشيوخ قبل الاوان
وتمادى بك السقام طويلا　　غير شاك من بأسه ما تعاني
لا تبالي اذا سطا الموت ما دمـ　　ـت تنير الحياة للشبان
لست تعنى بما يخبئه القـ　　ـدار من لوعة ومن احزان
ما رحمت الضئيل من جسمك العا　　ني ، الى ان شكت بك العينان
فتخيرت للعلاج سهادا　　دائب الجهد فى الدجى غير وان
وابيت الهدوء او تخدم النشـ　　ـء ، وتهدي لهم رطيب المجاني
فسبقت الجميع فى خدمة الاطـ　　ـفال مما رفعت من اركان
وبدت للعيون مكتبة الكيـ　　ـلاني تزهى بما حوت من جمان
كم قصصت الطريف فيها نابدعـ　　ـت وجليت حكمة الحيوان
وجمعت اللغات فيها ، فكانت　　مدرسات لكل قاص ودان
يتلقى الصغير فيها لغات الـ　　شرق والغرب فى سليم المباني

مى النشء متعة ورشاد ورسول لخدمة الاوطان
عمل نافع شأوت اليه سوف يبقى على مدى الازمان
لا معين سوى قليل من الما ل ، وذخر من النهى والبيان
واحتملت الانواء كالبحر حتى دب فى البحر صافر السرطان
طلب المجد يورث المرء هما وشقاء يضني قوي الكيان
كنت تشكو التقدير فى هذه الدنـ ـيا ، فهل قد مضى به النيران ؟
وهما دائبان في السعي دوما بقضاء لخدمة الاكوان
هكذا العلم ، والفنون ، واهل الـ ـعلم والفن في جميع الزمان
غرباء كما يقول المعري قرناء للبذل والحرمان
فاغتبط بالخلود ، واهنأ بما نلـ ـت من الاجر في نعيم الجنان
واسترح من متاعب العيش واسلم فى امان من عالم الانسان
قد شفى الموت ما لقيت من الدا ء ، وما قد لقيت من عدوان
« تعب كلها الحياة فما اعجـ ـب الا من راغب » متفان

* * *

كنت تصغي لما اصوغ من الشعـ ـر ، وناشدتني رثا « الكيلاني »
فانا اليوم رغم شجوي الباكي ك ، فيا ويح لي ، وويح بياني
لست ارثيك للرثاء ولكن من لهيب الاسى اذيب جناني
لست ارثي ، وانما اشرك النو ح بنات الرياض والافنان
اسعدي يا هواتف الايك عيني وفؤادي ، ومهجتي ، ولساني
مات بعضي ، ومات خل وفي كان رمز الوفاء في الخلان
كان يهدي اليك اطيب قول هو احلى من اعذب الالحان
ويوفى الصديق اصفى وداد هو في صفوه كبنت الحان

* * *

قد مررنا بداره فبكينا ذلك المنتدى العلي الشان
ودعوناه للحديث ، فلبى هاتف « كل من عليها فان »
صوحت ندوة الاديب واقوت من معري الزمان والهمزان
ومن البحتري وابن زيدو ن ، وما قد روى عن الاصفهاني
قد مضى بعدما ترنم حينا بالنفيس الري في الاوزان
بالقديم الذي يذل له كل جديد من اعجمي المباني
كلما انشد البليغ من الشعـ ـر توارى الدعي بالخذلان

* * *

حطم العود يا خليلي فانا لم نجد بيننا سوى الاشجان
لم نجد غير نائح وكئيب ومعين على الاسى ومعان
حطم العود ليس فينا مغنيـ ـه ، وما يبعث الهوى والاماني
ليس فينا من كان يهتف بالسجـ ـع ، ويشجى سواجع الاغصان
حطم العود اننا قد سئمنا الـ ـعيش فى فرقة من الاخوان
وكفانا من الحياة انين والتياع ، في السر والاعلان

القاهرة

طاهر الطناحي



خليل مطران

بقلم محمود بن الشريف

هو شاعر عالمي الروح ، عربي الوطن ، لبناني المنبت بين ارز لبنان نشأ وبين هياكل بعلبك قوى واشتد ، ومع براعم الورود المتفتحة هناك تفتحت براعمه وتفتقت شاعريته .. من ازهارها عشق الجمال ومن انوارها هام بالخير ، فنضح شعره فى عديد من المناسبات بحب الخير والجمال . استقبلته الحياة وليدا صغيرا فى بعلبك سنة ١٨٧٢ واودعته بين يدي ابوين عاشا عيشة محافظة فى بيئة امتزجت فيها التقاليد التركية بطرف من الحياة البدوية العربية . وفى بعلبك كان مراح شاعرنا خليل مطران ومغداه ومرابع طفولته وملاعب صباه . وفى بيروت تفتحت مواهب الخليل فانطلقت شحنات متدفقة من شعر ثائر فائر ، وطاقات من عاطفة صادقة وكانت باكورته وهو ابن الخامسة عشرة قصيدته فى وصف معركة « بينا » نشرتها مجلة سركيس البيروتية سنة ١٨٨٧ ... احداث هذه المعركة وخلجات نفوس المتحاربين وومضات عزائمهم .ومنجل الردى الذي يمشي فى ركاب الشهب يمزق الصفوف ويزهق الارواح كل ذلك يصوره ابن الخامسة عشرة ويجلوه فى اطار من الصور البيانية الاخاذة . ولولا ان هذه القصيدة مدونة فى ديوانه بنصها الذي نشرت ، فى مجلة سركيس البيروتية لظن ان مطران قد عدلها فى كبره ودعمها بقوى تصويره وطعمها برائع تعبيره ورائق تشبيهه .

ويدفعنا الانصاف ان نحكم بان مطران قد سبق غيره من انداده وشعراء وقته فى مضمار التمكن من لغة الغربيين والتزود من معين الاداب الاوربية فلا عجب ان جاء شعره من اجل ذلك مطبوعا بطابع التجديد المستمد من الاجواء الاوروبية المقتبس من ادابها وفنونها لا تكون بعد ذلك مغالين ولا مسرفين فى المغالاة حينما نشاطر ابرهيم نجار صاحب جريدة اللواء البيروتية ونشاركه حكمه على شاعرية مطران التي قال عنها « ولقد كان الخليل اكثر معاصريه من شعراء مصر ، بل شعراء العرب ، اخذا بروح التجدد واقتباسا للروح الغربية فى شعره ، مع شدة تمسكه بعروبته ولغته وتمكنه منها . وقد جمع فى شعره بين الروحين الغربية والعربية وربطهما برباط الفكر بصلة قد تكون دعته الى ان يقول عن شعره فى ديوانه انه شعر المستقبل » .

ويقول العقاد فى خاتمة كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم » عن مطران « .. اما انه من المجددين فذلك ما لا ريب فيه » ثم يقول « مطران من جيل شوقي وحافظ ، وهو علم وحده فى جيله » . ومطران فى تجديده قد حافظ على القافية والموسيقى العربية وانطلق انطلاقا حرا فى سماء المعاني والاغراض المستنبطة من روح عصره واجوائه التي يعيش فيها ، وابتعد بالقصيدة عن المعاني العديدة التي لا تربطها وحدة ولا يجمعها غرض واحال القصيدة الى صورة واحدة عامة كل بيت يكونها ويلونها ويضفي اليها احاسيس دفاقة ومشاعر نابعة من اعماق الشاعر ودخيلة نفسه يأخذ بعضها بحجر بعض ، مع ان مثل هذا الاتجاه كنت لا تجده فى الشعر العربي . وقد اشار الخليل لى زاوية من زوايا دستوره الذي وضعه للشعر العربي الحديث فى مقدمة الجزء الاول من ديوانه عندما قال : « هذا شعر ليس ناظمه بعبده ، ولا تحمله ضرورات الوزن او القافية على غير قصده ، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصيح ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد ولو انكر جاره وشاتم اخاه ودابر المطلع وقاطع المقطع وخالف الختام ، بل ينظر الى جمال البيت فى ذاته وفى موضعه والى جملة القصيدة وتركيبها وفي ترتيبها وفى تناسق معانيها وتوافقها مع ندور التصوروغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشغوفه عن الشعور الحر وتحري دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر » . ولا شك ان مطران بمذهبه الابداعي هذا قد دفع الشعر العربي دفعات قوية نحو الشعر الغربي بما اقتبس من معان وبما ادخل من اغراض وجدانية وبما نظم من قصص فاسهم الشعر العربي ــ بفضله ــ فى ميادين بكر قصر شعراء الضاد عن ادراكها بعد ان كان كلهم يدورون فى فلك لون واحد من الوان الشعر لم يتعد الشعراء الاقدمون نطاقه وهو الشعر العاطفي (الغنائي) الذي فيه يتغنى الشاعر بعواطفه وما يجيش فى قرارة نفسه .

ومهما يكن من شيء فان الذي لا ريب فيه هو ان هذا المذهب التجديدي لاقى ــ ككل جديد ــ فى بدء امره كثيرا من الصعوبات والعراقيل ولم يسلم من هجوم الذين يعضون

على القديم بالنواجز ، وازور عنه اعداء كل جديد . ولكن الخليل ظل صامدا في الميدان ومعه مريدوه وحواريوه ووقفوا امام الزوابع وجابهوا الانواء وثبتوا الى أن انتهت الزوبعة وانجلت المعركة . والنصر في كل معركة للصامدين الثابتين والصابرين المثابرين ولقد بين لنا الخليل كل هذا بقلمه في مقال له بمجلة الهلال سنة ١٩٣٣ عنوانه « التجديد في الشعر » فقال : « اردت التجديد في الشعر منذ نعومة اظفاري ولقيت دونه ما لقيت من عنف ومناواة . وليس هنا محل وصف للالام التي عانيتها ولا للبواعث التي انبعثت منها نوازع الذين حاولوا قطع السبيل علي بضع سنين ، اردت التجديد في الشعر وبذلت فيه ما بذلت من جهد عن عقيدة راسخة في نفسي وهي : انه في الشعر ، كما في النثر ، شرط لبقاء اللغة حية نامية ، على انني اضطررت ، مراعاة للاصول التي حفت بها نشأتي الا افاجيء الناس بكل ما كان يجيش بخاطري فجاريت العتيق في الصورة بقدر ما وسعه جهدي وتضلعي من الاصول واطلاعي على مخلفات الفصحاء وتحررت منه وانا في الظاهر اتابعه بنوع خاص من الوصف والتصوير ومتابعة الفرص . وبهذه الطريقة مهدت للجديد قبولا في دوائر كانت ضيقة ثم اخذت تتسع الي وراء ظني وتستمر في الاتساع بحكم العصر وحاجاته » .

فلا عجب بعد ذلك ان اضاف مطران الى القصيد العربي معاني دسمة وافكارا ابداعية استوردها من ثقافته الغربية الواسعة وطعم بها الاغراض التي ابتكرها في الشعر العربي وعزف بقيثارته الشعرية انغاما اوربية حديثة على اوتار عربية قديمة سحرت المحدثين وبهرت المجددين واسرت لب من لا يرضون بالقديم بديلا . وقد ظل الشعر العربي الى ما قبل ايام الخليل تدور اغراضه حول اللون العاطفي الى ان جاء مطران فصور بشعره مصارع الابطال وجولات الصناديد وانباء الهزائم واخبار الانتصارات مخفيا شخصيته جاعلا بينه وبين العاطفة حجابا فلا مدح ولا فخر ولا غزل ولا هدف شخصي الا من اعجابة قد يقتضيها الموقف او استنكارة يحتمها المقام او نزعة الى تمجيد بطولة او اشادة باقدام . ومن هنا كان قصص الخليل فنا بديعا من الشعر الملحمي طعم الشعر العربي ، ومن هنا ايضا حكم بعض النقاد – ونحكم معهم – بان الخليل قد ادخل فنا جديدا في الشعر العربي الحديث هو فن « الملحمة » .

مطران ... شاعر الحرية

النظرة العابرة لا تشفي الغلة ولا تكشف عن المعدن ولا تكفي في تبيان الحقيقة . وهناك غير واحد من النقاد لم يمعنوا النظر في شعر مطران ، ولم يقرأوا ما بين السطور ولم يخيطوا خبرا باحداث العصر الذي عاش فيه الخليل فحكموا بأن شعره عن الحرية والنضال وشل قليل .!! وجاء حكمهم بعيدا عن الصواب ، لانهم لم يستبينوا جسام الاحداث التي احاطت بالشرق العربي وغفلوا عن سلطان الاستعمار الذي مد رواقه على البلاد العربية في القرن التاسع عشر ، فالمغرب يدفع عن ارضه قوى البغي الفرنسي ، وليبيا تقاوم الدخلاء الايطاليين ومصر تناجز المستعمرين الانجليز وبلاد الشام تحاول جاهدة ان ترفع عنها نير الغشم والظلم الذي كانت ترزح تحته ابان حكم السلطنة العثمانية ، خطوب تتناوش الشرق من كل جانب وصنوف من الاحتلال تترى عليه ، وظلمات بعضها فوق بعض : فكيف يحيا الادب ولا سيما الادب الثوري وسط هذه المهلكات ؟ وكيف يسطع ضياؤه من خلال هاتيك الظلمات ؟ الالسنة معقولة والالسنة مغلولة واياد مصفدة مغلولة واحرار في بطون المعتقلات ووراء القضبان يسامون سوء العذاب ويذوقون الوان النكال اناء الليل واطراف النهار . ماذا يفعل الاحرار؟ ان الحرية تخبو الى حين ولكنها لا تخمد ابدا، فهي كالجذوة الملتهبة تحت استار الرماد وغلالاته البيضاء لا تلبث ان تلدغ وتحرق ويشتعل نارها ويلتهب اوارها اذا ما وجدت اليد المكافحة النافحة التي تزيل عن الجمر المتقد ما ران عليه من ذرات الرماد . لم يكن امام هؤلاء الاحرار في هذا الوقت المدلهم الا ان يدافعو من وراء ستار ويكتلوا القوى ويشحذوا الهمم ويصقلوا العزائم ويوجهوا الانظار الى البطولات السامية يفعلون كل هذا من وراء حجاب الى ان تتكشف الغمة ويزول الكرب ويكتب لهم النصر على اعدائهم.. وهكذا فعل مطران شاعر الحرية .. جاشت نفسه وثارت وضاق صدره بوحشية الاستعمار فكان الشعر سلاحه والقصائد سهامه .. حارب بقوله وجاهد بقلمه من وراء ستار في بادىء الأمر، وفي تلميح اقرب الى التصريح فاستعان بحوادث التاريخ واحداثه الجسام واستعار ما فيها من الوان البطولات واقاصيص العزة وصاغها معلقات وملاحم اخرجها لقومه ترشدهم الى الخلاص فكانت كقطع من نار تصهر خائر العزائم وكالجمر المتقد تذيب الضعف وتزيل الخور والجبن . ومطران شاعر ثوري قد ملك عليه حب الحرية شغاف قلبه وسرت في دمائه الثورة على القيود والاغلال ولم يثنه عن التغني بالحرية تهديد او تشريد . وآية ذلك تبدو عندما أصدر المسؤولون في مصر سنة ١٩٠٩ قانون المطبوعات وكان هدفهم من اصداره تحطيم اقلام المفكرين الاحرار ووأد أفكارهم الهادية حتى لا تصل الى الشعب فانطلق مطران في وجوه المسئولين قصيدته :

شردوا اخيارها بحرا وبرا ... واقتلوا احرارها حرا فحرا
انما الصالح يبقى صالحا ... اخر الدهر ويبقى الشر شرا
كسروا الاقلام .. هل تكسيرها ... يمنع الايدي ان تنقش صخرا ؟
قطعوا الايدي .. هل تقطيعها ... يمنع الاعين ان تنظر شزرا ؟
اطفئوا الاعين .. هل اطفاؤها ... يمنع الانفاس ان تصعد زفرا ؟
اخمدوا الانفاس .. هذا جهدكم ... وبه منجاتنا منكم .. فشكرا .

ولم يكن من رئيس الوزارة المصرية وقتذاك الا ان هدده بالنفي فارسل اليه مطران يقول :

انا لا اخاف ولا ارجي ... فرسي مؤهبة وسرجي
فلاذا نبا بي منزل ... فالطية بطن لسرج
لا قول في الحق لي ... قول وهذا النهج نهجي

البعد طال يا جميل

« البعد طال يا جميل البعد طال »
على الشفاه لم تزل تقال
يقولها الرجال ...
يرددونها وهم اطفال ...
ويكبرون ويصبحون كالرجال
يرددونها مع الليال :
البعد طال ...
وينطقونها حزينة ، وعم عبد العال
فى مطلع الهلال
يقولها لنا فى موال ...
ويتبع الموال بالسؤال :
« متى الوصال ؟ متى الوصال
يا سيدي الذي ملكتني وبعتني وفتني
فى حال »
وعندما يغيب عن عيوننا يمدد السؤال
ظلاله براسنا نمضي لبيتنا وحالنا فى
حال !
البعد طال !
البعد طال طالما الحياة مرة وطالما
الشقاء طال
وطالما يبعثروننا يشردوننا على الجبال
والتلال
ويبعدوننا فتى هناك فى الشلال
وحبه هناك فى الشمال
فيدفنون شوقهم فى موال
فيبدؤونه بالبعد طال
ويختمونه بالبعد طال !
ومات عم عبد العال
فى مطلع الهلال
قد مات فى اسى
ويرسم الموال فوق وجهه موال
ومات لا جواب للسؤال :
« متى الوصال ؟ »
قد مات عم عبد العال
لم يدر ان البعد قد طال
لاننا مضيعون فى الليال
لم يدر انهم يبعثروننا كاننا رمال
وان حزننا استحال فى نفوسنا استحال
نارا ستحرق التلال والظلال
لكي يعود من هناك فى الشلال
لحبه الذي هناك فى الشمال
وسوف يختفي الاسى من نبرة الموال
ويولد الاطفال
ويكبرون يصبحون كالرجال
يرددون فى موال :
« هات الهوى ، هات اسقني ، هات
الوصال »
والبعد طال لن تقال بعدها .. ولن
تقال

القاهرة — مجاهد عبد المنعم مجاهد

الوعد والابعاد ما كانا لدي طريق فلج

وقد لقبوه بانه شاعر القطرين، ولكنه فى الواقع شاعر العروبة كلها :

ترمي بنا فى هامة العلياء منزلهم — هم صفوة الخلق بالاخلاق والفطن
وان عز من منحوا نصرا فاز به — او هان من منعوه النصر فليهن
مواطن الضاد شتى فى مظاهرها — وفى حقيقتها ليست سوى وطن

من اجل ذلك قال عنه طه حسين« .. مطران زعيم الشعر العربي المعاصر واستاذ الشعراء العرب المعاصرين لا يستثنى منهم احد» ثم زكاه تزكية اخرى فى كتابه « حافظ وشوقي» حينما قال« عرفت مطران معجبا بشعره، مؤثرا له على شعر المعاصرين جميعا، وكنت اسمع شعره وشعر حافظ وشوقي فاوثر شعر مطران فى وجه حافظ وشوقي. وكان حافظ وشوقي يسمعان ويعرفان ولا ينكران. وكنت ازعم لهم جميعا ان مطران فى المحدثين كابي تمام فى العصر القديم، وانهما وغيرهما من الشعراء يعيشون حول مطران كما كان شعراء العراق والشام يعيشون حول ابي تمام» .

مصر الجديدة — محمود بن الشريف

محروم افندي

بقلم يوسف مقدسي

استدعي محروم افندي ، الموظف بدائرة كذا ، المثول امام المدير في غرفته . لقد فوجىء بالامر ، فليس من عادته مقابلته الا صدفة ، أو في مناسبات معينة ، ماذا جرى اذن ؟. حاول معرفة السبب بالتفتيش عنه في راسه ، وعلى وجوه رفاقه ، كانت علامة استفهام كبيرة ترتسم امامه اينما وجه نظره او بحث عنه . اخيرا دفعه عجزه لشد قامته الهرقلية وغمس راسه حتى اذنيه في عمرته ، ثم هرول بخطى متزنة نحو المدير ، وهو يتمتم في نفسه مستعيذا بالله :

ـ خير ان شاء الله ... خير ان شاء الله .

وطرق الآذن الباب ، وما ان تناهى اليه الصوت الخشن المعهود ادخل ، حتى شق لمحروم افندي فتحة على طول قامته وعرضها ، فدخل هذا على مهل وبحزم ، يداه مضمومتان وملتصقتان بجنبيه ، وقبل ثلاث خطوات من طاولة المدير وقف بصلابة وقام بحركة سريعة ، اذا امتدت سلامياته اليمنى المبسوطة الى عمرته تودى التحية ، في اللحظة التي التقت « فردة » حذائه اليمنى مع اختها اليسرى وعلى الارض ايضا في انسجام بديع ... كان أشبه بعمود رخامي حين استفهم :

ـ نعم يا سعادة المدير ؟...

وترك الاخير القلم ينزلق من بين أصابعه بكسل ، والتفت نصف التفاتة نحو محروم افندي الذي ما زالت قامته عمودية على الارض ، وخرجت من فمه كلمات متعبة مرتبة حرص محروم افندي على التهامها كلها .

ـ نظرا لخدماتك الطويلة ، ولطاعتك النظام والاوامر ، ارتأيت ترقيتك الى قائد فرقة .

لم يصدق محروم افندي اذنيه حتى كأنه شعر برزاز ماء بارد فجائي ينهمر عليه ، يثلجه ، فيحرقه ، حتى انه خشي ان ينقلع جسمه من ثيابه ويطير كما تطير فراشة القز بعد ان تحطم شرنقتها ، هالة من شيء لم يحس به سابقا اكتنفته وكادت تعصف به وبجموده ، رأى بام عينيه كابوس الرتابة الثقيل ينزاح عنه فجاة ، فاذا هو طاقة حركة تتفاعل بقوة متحررة من اثواب صمتها ينبثق عنها افكار كثيرة ، كان يريد ان يعبر عما يشعر ، ولو عن جزء منها ، هذه الرغبة الجامحة دفعته الفافاة وهو يتكلم :

ـ اني يا سعادة المدير اشكركم من كل قلبي .

كان الآذن اول من صادفه في طريقه خارج غرفة المدير ، نهره بيده وهو الذي لم يتعود المزاح مع أحد ، واطلق ضحكة رنانة مكبوتة وهو الذي لم يكن يبتسم قط . استغرب الآذن هذا التصرف من محروم افندي ، وظن ان ما اصابه ، وما ان استفسره حتى اتاه الجواب.

ـ لقد رقيت ... رقيت ... اصبحت رئيس فرقة .. الحمد...

وعلى الفور اجتاحت الآذن فكرة خبيثة ، واعترض طريق محروم افندي ، وهو يصيح :

ـ بيض فال يدي يا محروم بك ... يا افندي ... بسرعة .. والا فالنام ...

بحر من الاحلام المتماوجة انصب عليه ، فكاد يغرقه ، ويطوبه بين صفحاته البنفسجية ، هذا الفيض

قصة

من السرور ، سبب له الشرود ، والتعب المشوب باللذة المفرحة ، ان الحادث عادي في نظر الناس ، ولكنه ذو قيمة خارقة بالنسبة له ، لقد ترفع اذن من خفير بسيط الى قائد فرقة بعد خدمة عشرين عاما ... ولم تغب المفاجاة المرتسمة فوق وجهه من رفاقه ، اذ تجمهروا حوله وبداوا يكيلون التهنئة المصحوبة بالمدح والاعجاب لشخصه الكريم العظيم ، الذي يستحق ايضا اكثر من ذلك .. وابل من الاسئلة والطلبات ، انهمر عليه فاصم اذنيه ؛ لعدم ترابط الحديث ، كان يسمع اسمه يجلجل في الغرفة ، تطلقه الشفاه بدون تمييز ... محروم افندي ... محروم افندي ..

احتار كيف يوفق بين تغير سلوك الكل نحوه ، يا للبهجة كيف يحيطون به ، وينشغلون بلهفة وبمودة نحوه ، لماذا يا رب كل ذلك ، هل بسبب النعمة التي حلت عليه فعلا ، ولم تكن تجول في خاطره ؟ انها اثلجت صدور الجميع ودبت الحمية في نفوسهم ، وقد تلعثم لسانه ، واعتصمت الكلمات في فمه ، وان خرج بعضها ، خرج مضطربا متقطعا مبهما ... هذه التغيرات المفاجئة تراكمت جميعها جملة تريد النفاذ الى داخله ، من غير طريق او سد او نظام ، ها هي تدغدغه وتخرجه عن طوره ، هل يقاومها ؟. ولكن باي وسيلة ؟ اضف الى ذلك قسمه الذي اخذه على نفسه بان لا يتمرد على اي حادث يحصل معه مهما كان طفيفا ؛ وان يكون عبدا طيعا هينا له .

كان يجيب رفاقه بين حين وحين :

ـ انكم يا اعزائي انبل الناس، وانا لن انسى لكم هذا الصنيع .

لم يكن عند محروم افندي الخيار في رد طلبات رفاقه ، فان الناسك نفسه يحطم صومعته عند الهام جديد ويخرج الى النور والورود والارض الخضراء ، انهم يريدون

حفلةُ وسكرٌ ابديةٌ و اكلةٌ و كنافة ، وسينما ، ان خياله يسبق الحوادث وينبش عظات الايام والتجارب ، تخيل نفسه ينفذ هذه الاعمال قبل حصولها ، لقد سمع منذ زمان ، ان السينما دوارا في الراس ، وزيغانا في العيون ، والمسكرات تدب في الاجسام نشوة رائعة ، لقد شاهد في السباق ، موائد كثيرة امتدت امامه ، ولم يشارك اصحابها ، والان هو رب هذه الولائم وعليه التنفيذ ، انه اشبه برابح ورقة يانصيب ، لا بد ان يوزع « الحلاوين » ويعيش لحظات السرور والسعادة التي افتقدها .

لقد غرق في لجة المجاملات، عاشها في الواقع ، سهر طويلا بدون أوامر ، حتى هرب النوم من اجفانه ، باتت كأنها رحلة على بساط الريح ، رأى عجائب وغرائب... ودوي مكتوم.. كطبل أجوف لم يستطع ضبط ايقاعه ، وتمييز نغماته ، غير صور باهتة مغبشة ، اصطفت على جدران اربع ...

غدا سوف ينفذ اول مهمة بعد ترقيته ، لقد تهيأ لها كثيرا ، اشترى شارة صفراء براقة كعيون شمس واسعة واستبدل بعمرته اخرى جديدة ، ونشى ياقة قميصه الاسمر حتى بدت كورقة دخان مسطورة ، وارسل بلته الى الكوي وها هي ذي تظهر كالغصن الاخضر تحت المشجب

كان كل شيء تاما بالنسبة له ، عدا انه لم ينم ، تقلب على جانبيه اكثر من مرة ، عبثا لم يغف ، ضغط على زر الكهرباء ، فبهر النور عينيه، كان يشعر بحركة ما تسري في انحاء جسمه ، من راسه الى قدميه ، حركة تدور بسرعة ، لا تكل ... تلهى بمج اللفافات وقتل الوقت بالشرود ... ان الغد يظهر امامه بدون صباح ، كيف سيتصرف مع رؤسائه ومرؤوسيه ؟ لا بد ان يبدل حياته ، او ان مركزه الجديد يفرض عليه تصرفا آخر ؟.. كانت ثيابه الجديدة واقفة كصورة فقدت الحياة ولم يبق غير ساعات ثم ينحشر داخلها ، وسيحافظ على بقاء طياتها كما هي ، وفي الطريق عليه ان يسير باتزان شديد ، يجب ان ينسجم مع صوت « زقزقة » حذائه الجديد اللمع جيدا ، ويشمخ براسه عاليا ، مع ميل العمرة قليلا الى اليمين والخلف ، ولا مانع من أن يبتسم قليلا امام معارفه، اذا التقى باحدهم او اذا استدعاه المدير ، ويكح قليلا وبرتابة قبل ان يحادث رفاقه : الذين لم يصبهم حظ مثل حظه .

صحيح هو لا يجيد القراءة والكتابة ، ولكن تجاربه كثيرة ، لقد مرت عليه ايام كان يقف فيها في العراء ، بين الامطار والثلوج ، تنقل بين مناطق متنوعة، وصادفته كمائن صعبة ، اصطدم مع مهربين خطرين، اطلقوا النار عليه مرة ، وكادت رصاصة طائشة تقتله ، لولا ان افتداه حصانه . ان بين رفاقه شابا ذكيا ، خطه جميل وفكره سديد ، لماذا لا يستميله اليه ، ويجلسه بجانبه في سيارة « البيك آب » ؟. هذا ما حصل مع رئيسه السابق عمر آغا ، سوف يمدح علي امام المدير اذا سنحت الفرصة له ، لانه من العيب ان لا يعرف كيف يكتب الضبوط والتقارير ... قد ينزعج البعض ، ولكن عليه ان يكون حازما، قوي الشخصية ، يداري الجميع حتى لا يبغضوه ، ان الدجاجة تحمي افراخها وتتفقدهن ، وبنفس الوقت تقسو عليهن اذا غبن عن نظرها وعصينها .

رقصت شفتا محروم افندي، دون ان يستطيع ضبطهما ، وانفرج فمه عن ابتسامة عريضة ، اظهرت اسنانه الصفر التي بدت كأنها من ذهب غير لامع ، او ملبسة منه ، وضرب كفا بكف ، وفرك راحتيه بسرعة وشدة ، وهز راسه كنواس ، ثم اشعل لفافة اخرى ، واستوى على حافة السرير ... كان فاقدا كل رغبة في النوم ، ومع ذلك لم يتوصل الى نتيجة مرضية ، من خلال الصور التي رسمها في راسه قبل قليل . كان يرى خيطا غليظا يمتد امام ناظريه يقف عليه ماضيه البعيد ... يشده اليه ليتفرس فيه ...

عندما انتسب لهذه المصلحة كان فارا من صدمة كبيرة اخفق في حلها ، ان امه واخته هما السبب في هذه الفاجعة ، كان يحب فتاة رومية الاصل ، منقطة الوجه بنقاط بنية خفيفة استحبها كثيرا ، وعندما قرر خطوبتها ، ذهبت والدته واخته للقائها وابداء الراي فيها ، ولم تعجبهما ، بل قالتا امامها ثم امامه ان وجهها « كالكعكة » البيضاء المنقشة بسمسم محروق ..

لقد لاقى صعوبات جمة في ابعاد شبح مأساته عن حياته اليومية ، كان يعمل اكثر من الاوامر المصدرة اليه ، ومن واجباته ، لعله يتغلب على قلبه الذي لا يكف عن مضغ الالام التي بدأ انتزاعها منه شيئا صعبا ، حاول ان يذوب في غمرة الوظيفة ، ويدفن ماضيه في العمل المرهق ، فلم يخب نشاطه ، بل ازداد اشتعالا واوارا ، احتار كيف يطفيء النار التي تكويه وتدميه، ولم ينتبه اليها الا عندما بدا يذعن لها.. قرر الاستقالة مرات عديدة ، ليس خوفا من اعبائها ، فقد ارتاح اليها، لانها قيدته بنظامها ، وقيد نفسه بها في شدة ، ولكن لاعتقاده بان هناك عملا اشد قسوة، يستطيع ان ينسيه كل افكاره المشدودة الى التي احبها.

والتقى صدفة كما خيل له بالمقص الذي فصله عن ماضيه ، اذ طرأت على ذهنه فكرة اعجبته كثيرا وهي « لماذا يريد ان يبذر في هذه الارض»؟ حقا لماذا يتزوج ؟. سوف يأتيه اولاد ، ومن المحتمل ان يلاقوا نفس مصيره ... نفس الشقاء والعذاب ، ان معاشه لا يكفي لسد حاجاته ، ومصاريف امه واخته واخيه المشلول لقد سمع قصصا كثيرة في صغره

عن التضحية ، وبخاصة تلك التي تحدث عن اناس وهبوا اموالهم ونفوسهم لغيرهم ، وعاشوا مشردين في ارض الله الواسعة ، وهو عدا انه ضعيف ، ينقصه العلم ، والناس حوله لا يرحمون ، ان وجوههم كالحة لا تبتسم حتى لرغيف الخبز الساخن ...

وعاش تجربة مريرة ، يكمن ارهاقها في التوفيق بين واجباته والناس ... فقد ادرك من خلال تجاربه ان الوظيفة تعتبر العالم خارجا على القانون ، ويجب اداته ، والبشر يفهمونها على انها سوط لازع يلهب الظهور ومنشار يأكل العباد بالف فم ..

كان يترك اثارا عجيبة في كل بقعة يطؤها ، الناس البسطاء يحبونه ويرمونه بحبات انانيتهم وابتسامتهم كلما تذكروه ، ورفاقه بالعمل ينعتونه بالغباء والاستكانة ، حتى لقبوه بمنخل الخدمات الذي يخضع برضاء لكل مهمة يكلف بها .

كان عندما يسأله وجهاء القرى عن السبب في عدم زواجه يجب :

— اني معيل لعائلة منخورة الجذور ، ولذلك فان واجبي وشرفي يمنعاني من زيادة الطين بلة ، عدا اني تخطيت حدود الشباب ...

تحسس ذقنه بيده ، وسأل نفسه : هل حقيقة اني اصبحت كهلا ؟. ما هو الشباب ؟. اليس الصحة الجيدة والنشاط والمركز الحسن والوقار ؟.

لقد سمع اليوم ابه واصدقاءه يكررون عليه : آن الاوان لكي تتزوج يا محروم افندي ، ومع ان هذه العبارة رددت على سمعه مرارا : فانه شعر هذه المرة ، ان جسمه جمرة نار متقدة ، تناول مرآة صغيرة عن الطاولة ، وقربها من رأسه ووجهه كان يفتش بعمق عن شيء ما ... لم تكن هناك اية شعرة بيضاء ، ولا تجاعيد ، انفه صغير ، وشفتاه رقيقتان ، وعيناه صغيرتان ، تختفيان وراء حاجبين كثيفين ، متصلين في حفرة ، انه عادي ، لا يعد بشعا ، بل افضل من وسط ، في وجنتيه حيوية ومسحة من الاحمرار الخفيف ، عدا ان قامته مديدة وممتلئة ، ومنكبيه عريضان ، وليس عارا الزواج في مثل سنه ، انه فوق الاربعين بقليل ، وقد يكون في دفتر النفوس خطأ ، اذ ان اغلب معاملات التسجيل غير صحيحة ، هناك رجال تزوجوا في الخمسين من بنات في عمر الورود ، ولم يخجلوا ، من الممكن ان يكون عبود مختار قرية « ... » كان يقصد شيئا ما من وراء عرض خدمات ابنته سعدى عليه ، هذا صحيح لماذا فاته ذلك ؟... ان الرجل رأس المرأة ، وهي تخضع له دائما ، ولهذا لاحظ جاراته العرانس يبدين اللطف الزائد نحوه ، ان نزهة اجملهن ، والمسكينة لم تتزوج بعد ، عمرها يقارب ثلاثين سنة ، تبتسم في وجهه كلما صادفها ، بل انها حينما تكون عندهم ، ويطلب على سبيل الصدفة من اخته كأس ماء ، تهرع نزهة نفسها ، لتأتيه به ، وتقول : انها ليست غريبة عن البيت ... انها جميلة وخاصة عندما ترتدي فستانها السماوي ، الموشح بزهرات وردية ، لقد هنأته بحرارة عندما سمعت بترقيته ، وكان هندامها حسنا للغاية ، حتى كأنها اعتنت به خصيصا له ، آه ... انه ليذكر كيف احمر وجهها عندما قالت والدته امامها : يجب ان تتزوج يا محروم ، هل كانت تقصدها ؟. وهل تريده نزهة ؟ لا بد انها تتمنى ذلك من صميم قلبها . عندما احب الرومية لم يشعر بسعادة كهذه السعادة التي فتحت له مصراعيها ، ان حب الشباب نزق ومقامرة ، حتى درجة الطيش ، يسبب الالم والصداع ، اما الآن فهو في سن الكمال ، واجتاز مرحلة عبث الفتيان ، الزواج عمل عظيم في مثل سنه ، نظام ، ادراك ، تفاهم ، جد ، زوجة تعرف واجباتها نحو رب بيتها ، وزوج يعاملها برقة وحزم .. نعم لا مجال هناك للسوء والتفاهة ...

وامتدت يده نحو مفتاح النور ، وسكت عن التفكير ... كان يذوب في سبات سعادة حقيقية ، تفيض في كل مكان عندما بدا يحلم ان اسمه الصحيح لم يعد محروم افندي ، بل اسما آخر ، يحيا في النور الى الابد .

اللاذقية — يوسف مقدسي

طفلة الامس

ووهنت ، يا طفلة الامس
ونموت ، وقد تماوتنا
ونموت ، ومن يحفل
ولم يحفل ؟

يا وجها قد تغضن
يا طفلة تتزين
بالاسود والغبار
حفرة الاحلام
لا تبغي عمقا
انها تطير مع الهواء
ومن يحفل
ولم يحفل ؟
الجبن ارحم

ووهنت ووهنت
يا طفلة الامس

صراعك مع الريح
كان على طريق
لا منفذ فيه
فلم اسرعت ؟
يا غرور العشرين
لم اسرعت ؟

حلب — دينه عبودي

امثال اللبنانيين في الاقتصاد

بقلم شفيق طباره

يقوم المال بدور خطير في حياة الناس لذلك لم يغفل عوام اللبنانيين وهم يتحدثون عنه ان يذكروا الاقتصاد لانه فى نظرهم السياج الذي يقي الثروات من ان تعبث بها يد السرف والتبذير . فمن الامثال المأثورة التي تجري على السنتهم في هذا المعنى قولهم (القرش الابيض لليوم الاسود) اي ادخر قرشك الابيض ليومك الاسود . وكلمة أبيض ترمز الى البحبوحة والاسود الى الاقلال ، وهذا مثل قولهم (من خبى فطوره لعشاه ما شمت فيه عداه) ويضرب لمن لا يعد لمفاجئات الدهر عدتها ولا يدخر شيئا للايام العصيبة . ويذكرنا هذا المثل بقصة النملة والصرصور (الجندب) التي كتبها الشاعر الفرنسي لافونتين وكيف عندما قرع الصرصور باب النملة في ايام الزمهرير والثلج متوسلا مستعطيا ابتدرته سائلة : ماذا كنت تعمل ايام الحصاد ؟ اجابها : كنت اغني .. فقالت له بتهكم وشماتة : اذن ارقص الان ...

ويقولون (اللي بوفر خير من اللي بيجيب) ويضرب في تفضيل من يختصر النفقات على الذي يجهد بجمع المال . وهذه نظرية بعض الاقتصاديين وتقول ان الثروة انما تكون في وفر الصرف لا في زيادة الدخل . ولسنا هنا في مقام شرحها يكفي ان نعلم ان دلائل الامور تؤكد صحتها وضرورة الاخذ بها ووضعها موضع العمل .

ويقولون (شعره من هون وشعره من هون بيعملو دقن) يعني ان القليل الذي يجنيه المرء يصبح كثيرا . وهذا الكثير يعينه على ان يعيش سعيدا مكرما . ونظير هذا قولهم (من هون مصرية ومن هون مصرية بيصيرو مية) ، المصرية عملة راجت في لبنان في عصر ابراهيم باشا وهي الجزء الاربعون من القرش وجمعها مصاري . وكذلك قولهم (بزرة خروب بتسند خابية) و (نقطة على نقطة بتنتلي الجرة) .

ويقولون (طلوع السلم درجة درجة) ويضرب المثل في التأني والحث على مواصلة السعي والاجتهاد . وهذا مثل قولهم (ان طالت عليك الطريق قسمها درجات) و (مص القصب عقدة وعقدة) .

ويقولون (على قد بساطك مد رجليك) واصل المثل فيما يقال ان احد ملوك الفرس اشتهر بتبذير اموال الدولة ولم يستطع احد من رجال الحاشية أن يجاهره بسوء المغبة الى ان شاء الملك أن يفحص درجة ذكاء رعيته وجرائهم في قول كلمة الحق فاعلن انه سيمنح جائزة ثمينة لمن يضع بساطا يأتي قياسه على قدر قامته بالضبط واشترط على من يخطىء في تقديره بالحبس فقدم اصحاب المعامل للملك نماذج من الابسطة ولكن تقديرهم كان خاطئا فأمر بحبسهم وذات يوم حضر درويش الى القصر وطلب مقابلة الملك ولما اذن له ودخل عليه طرح أمامه بساطا فتمدد الملك عليه وجعل الدرويش يربط ساقي الملك حتى تضيق وتصبح بمساواة البساط ثم قال له : مد رجلك على قدر بساطك ... ويقصد بذلك تضييق ميزانية الدولة لا الرجلين وقصرها على استطاعة البلاد فادرك الملك ما يعني الدرويش بقوله ويضرب مثلا في عدم مجاوزة الحدود والتوفيق بين القدرة والواقع وفي ذلك قال الشاعر :

لعمرك ليس امساكي لبخلي
ولكن لا يفي بالخرج دخلي
وفي طبعي السماحة نيراني
على قدر الكساء مددت رجلي

ويقولون (اللي بيطلع فوق راسه بتنخلع رقبته) ويضرب في القناعة والنهي عن الطمع والاكتفاء باليسير والزهد عما في ايدي الناس وقالت العرب في امثالها (الطمع ضر ما نفع) و (من قنع بما هو فيه قرت عينه) و (لاتغضبوا من اليسير فانه يجني الكثير) .

ويقولون (الزايد اخو الناقص) ويضرب في الاعتدال وقناعة الرجل ببعض حاجته دون بعض وهذا مثل قولهم (لا يجوع الديب ولا يفنى الغنم) ولا تكثر الصراع بتوقيع و (من كبر فشختو بينفسخ) و (لا طول سند حيط ولا قصر عمر بيت)الحيط اي الحائط و (اللي بيكبر لقمتو بغص) وغص بالطعام والماء اي اعترض في حلقه شيء منه فمنعه التنفس و (قليل من السم ولا كثير من الرمان) و (غثك خير من سمين غيرك) و (قليل من الشر احسن من كثير من الخير) ومعنى المثل أن الكثيرين يزعمون ان الحياة المترفة هي خير محض وانها خالية من الهموم والحقيقة كلما زاد مقدار ما يملكه المرء من المال كلما ثقل حمله وتعددت مسؤولياته وكثرت اعباءه وتضاعفت بواعث آلامه واتعابه وان من الخير له واجدى أن لايرهق نفسه ويظل متحفظا بحالة الوسط المعتدلة ليهنأ بعيشه ويشعر بلذة الحياة وفى هذا المعنى يقولون ايضا (لا مط ولا نط) المط المد ومطه اي مده ووسعه والنط القفز و (من طلب الزيادة وقع في النقصان) و (لا تكن رطبا بيعصروك ولا يابس بيكسروك) واصله من الفصحى (لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر) وقالت العرب (خير الامور اوساطها) و (كل زايد ناقص) رواهما الميداني . و (قليل يكفيك خير من كثير يرديك) ويضرب في النهي عن التبذير وكذلك (اياك والتبذير فان التبذير مفتاح البؤس وخير السخاء ما وافق الحاجة) .

وورد في القرآن الكريم قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) ١٧ : ٢٩ وقوله تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ٢٥ : ٦٧ وقوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل

البسط) ١٧ : ٢٩ وقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها واتبع بين ذلك سبيلا) ١٧ : ١١ وقوله تعالى (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) ٢ : ٦٨ وقال الجاحظ في تفسير الحرص والاسراف (البخل ما زاد عن الحرص والاسراف ما زاد عن الكرم والجبن ما زاد عن التحفظ والتهور ما زاد عن الجراة) وقديما قالوا (آفة الجود الاسراف) وكان بهلول المجنون ينشد :

دع الحرص على الدنيا
وفي العيش لا تطمع
ولا تجمع من المال
لما تدري لمن تجمع
فان الرزق مقسوم
وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذي حرص
غني كل من يقنع

ويقولون (اللي ما بيعرف تدبيره حنطته تاكلها شعيره) حنطته تاكلها شعيره يعني اختل دخله ووقع في عسر . ويضرب المثل في النهي عن التبذير. فالشعير في نظر العوام رمز الردي او القبيح والقمح رمز الجودة ومن عادتهم ان يستخبروا عن الامرين الخير والشر ايهما وقع ان يسالوا القادم : قمحة والا شعيرة ؟ وقديما كانت العرب تقول في الاستفهام اسعد ام سعيد ؟ وهما ولدا ضبة بن اد قيل ان ابل ضبة نفرت تحت الليل وهما معها فخرجا يطلبانها فتفرقا في طلبها فوجدها سعد فجاء بها واما سعيد فذهب ولم يرجع فجعل ضبة يقول ذلك اذ راى تحت الليل سوادا مقبلا (اسعد ام سعيد) وذهب قوله مثلا ومنه قول الحجاج لقتيبة بن مسلم وقد تزوج : اسعد ام سعيد ؟ اراد احسناء ام شوهاء . وجعل التصغير مثلا للقبح والتكبير مثلا للحسن .

ويقولون (اللي بيصرف وما بيحسب بيخرب وما بيدري) واصله من الفصحى (من نفق ولم يحسب هلك ولم يدر) رواه الميداني و (اكلة بلا تدبير تورث الفقر والتعتير) التعتير التشرد ونظيره قولهم (التدبير نصف المعيشة) و (الاقتصاد فى المعيشة نصف المؤونة) و (الحرص قبل وقوع البلاء) و (ما بيحسب لقدام بيوقع) و (اللي ما بيتوقى ما بيترقي) وقديما اوصى عبد الملك بن صالح ابنا فقال (حسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الاسراف) وقال (الاقتصاد يثمر القليل والاسراف يبير الكثير ونعم الحظ القناعة) راوه الجاحظ في البيان والتبيين . وفي القرآن الكريم (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) سورة الاسراء ٢٩ وورد في الحديث (ما عال من اقتصد) عال اي افتقر ويضرب في النهي عن التبذير والعمل على تلافيه حتى لا يتدلى المرء الى مستوى ذوي الفاقة وطالبي الصدقات . وفي الحديث ايضا (من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله) .

شفيق طباره

انشودة للوداد

« الى وليد وروبير وعلي »

ادق لكم الف لحن اشتياق
رفاقي رفاقي
وانسج من لهفتي الف زفره
فانتم نافذتي للوجود
بكم اعبر الدرب ارقى صعودي الكؤود
باعينكم اطفيء الحزن ... القي رحالي
واغرف من شوقها كل قطرة
ابلسم منها جراحي
واعماقها مستراحي

وحين بعدت وصرت طعام العيون الجديبه
تحدق ... تثقبني ... تزدريني
وتلسع ظهري
وتاهت خطاي بارض غريبة
وما كنت ادري
بحثت الشوارع عنكم ... جست الدروب
اقلب كل الوجوه الكئيبة
افتش عن نظرة حلوة ..
عن عيون صديقة
وعن مبسم دافىء لا يريني نيوبه
فلم ار حولي الا الوجوه الصفيقة
... وجوه محنطة فى قبور الظلام
عيون مدببة كالسهام
تحدق .. تثقبني .. تزدريني
وتبصق ظلي الوحيد على شارع
مثل ظلي ... وحيد
تلاحقه مثل قط عنيد .

احن احن ليوم التلاقي
رفاقي
لوجه صديق يرد الي اشتياقي
ويعزف انشودة للوداد .

سمير كتاب

احــــاديث بريئــــة

والتقينا دون ميعاد ولا عهد
اتينــا
فالتقينا
وكطيرين غريبين
على غصن تلاقى
قدر الافاق فى سيرهما
جئنــا الهوينا
فالتقينــا

وبقينا.. زمنا ليس لدينا
غير تحويم على الف سؤال
وحكايات طــوال
وجنون العيش فى دنيا المحال
واكتفينا حذر الساعين فى قيل وقال
بلقاءات فريــدة
وباسفار بعيــدة

فى بحار الاعين الظمأى لاطياف شريدة
ورضينا بهنيهات من العمر هنيئة
نلتقي فيها على صمت واحلام حبيبة
واحاديث بريئــة
ونفينا من زوايا خاطرنا
كل معنى للخطيئة
والاحاسيس المريبة
واتقينا بالابــاء
ولجمنا بالنقــاء
صخب الاعصار فى اضلعنا
ونــداء الشوق فى اذرعنا
وبقينا مثلنا يوم التقينا
غربــاء

اصدقــاء
كالغربــاء
وقنعنا بصفاء لحظات الالتقاء
بين مــاء وضيـاء

ورويدا ... دون ما داع ولا ظاهر علة
زحف الموت الى عالمنــا
ومشى الصمت الى عزلتنا ينشر ظله
ينسج النسيان والشك ويبني بمهارة
بين قلبينــا
دون علمينــا
الف سد من ظنــون
وجدارا من اساءات الجنون
وسرى طعم المرارة
فى فمينا
فتولت بسمات
واضمحلت كلمــات
ومضت كل ينابيع الغنـاء
ومضينا.. مثلما كنا اتينا.. فالتقينا
دون ميعاد ولا شبهة وعد
قد مضينا غرباء .. او كالغرباء
وانثنينا
ليس نحوي فى يدينا
ومطاوي مقلتينا
غير ذكرى من هنــاء
وبصيص من رجــاء
وتراجيع غنــاء
بل هبــاء .

طرابلس ــ ليبيا
علي سعد

وهوى التمثال

بقلم احمد عبد العزيز

قصة

كان فنانا يجري الفن في عروقه مع دمه ، وقد ورث فن النحت والرسم عن والده الفنان الشهير . ولقد كان يقضي وقته كله ممسكا بريشته يخط على الورق ايات فنه فيخرج اروع لوحات او منصرفا الى ادواته ينحت تمثالا بديعا . ولم يكن يعرف الكلل او الملل الى نفسه سبيلا فهو اذا ما جلس الى احدى لوحاته او احدتماثيله ينسى نفسه وما حوله ، وكثيرا ما كانت تستهويه صورة رائعة فينسى طعامه وشرابه ويمضي سحابة يومه ينظر اليها مجتليا مواطن الجمال فيها . وكانت اجمل ساعاته هي تلك التي يتم فيها عملا فنيا من أعماله فيشعر بالسرور يملأ قلبه والزهو يملأ نفسه .

وكان من نتيجة هذا ان تلهى عن النساء فلم يكن للمراة في حياته نصيب ، ولم تخطر له فكرة الزواج يوما ببال ، بل انه كان يتندر من والدته العجوز حين كانت تلح عليه ان يتزوج ليترك ابنا يحمل اسمه ويخلده وخاصة وانه على ابواب الاربعين من عمره ، وكان ينتابها الحزن كلما رات الاعوام تتقدم به فتدنيه من الشيخوخة وتترك آثرها في وجهه غضونا وتجاعيد ، وكانت تعجب في قرارة نفسها لفلسفته القائلة ان الفنان حقا يجب ان يكرس كل حياته لفنه وعليه الا يتفرغ الا له وحده .

وذات يوم ، وبعد ان تجمع لديه مقدار معقول من مبتكرات خياله ، فكر في ان يقيم معرضا صغيرا يعرض فيه ما لديه من رسوم وتماثيل ولوحات . وقضى اياما وهو يشرف على ترتيب ذلك المعرض وهو يحرص على ان يخرج منه اية من ايات الفن . وما ان انتهى من ترتيبه على الشكل الذى ارتضاه حتى جلس مزهوا بين ما ابدعته يده الخلاقة : يحادث هذا التمثال او يخاطب تلك اللوحة تماما كما يحادث المرء انسانا له حواسه وعقله ولا ينقصه الا اداة النطق . واخذ يشعر بنشوة عارمة وزهو متزايد وهو يرى الناس من مختلف الطبقات والاعمار يدخلون الى المعرض ويخرجون منه زرافات ووحدانا : بعضهم يقف امام هذه اللوحة او ذلك التمثال وقتا طويلا مشيدا بجمالها او مادحا صانعه ؛ وبعضهم يمر بالمعرض مسرعا لا يلتفت اليه فيسخر منه في اعماقه فيراه شبيها بالاعمى الذى يمر بمنظر ساحر فتان فلا يبصره ولا يرى مواطن الجمال فيه .

وقضى اياما ثلاثة باع خلالها الكثير من روائع فنه ، وفي مساء اليوم الرابع حدث ما قلب حياته راسا على عقب ، وما لم يكن يخطر له يوما على بال ، اذ في مساء ذلك اليوم دخلت الى المعرض فتاة كانت اية من الجمال . اخذت تنتقل بين اللوحات وتقف دقائق أمام كل لوحة الى ان وقع نظرها اخيرا على لوحة اطلق عليها اسم الهداية تصور ملائكة يهبطون من السماء باجنحتهم الزاهية الملونة ويحملون مشعلا يضيء السبيل لقوم تائهين في الظلام .

وقفت طويلا امام تلك اللوحة ثم انقلبت اليه تساله عن ثمنها . واحس ان كلماتها تصل الى قلبه مباشرة دون ان تمر باذنه ، وحسب نفسه في ساعة حلم لذيذ وان التي تكلمه ليست فتاة من بني البشر ولكنه ملاك من اولئك الذين تمثلهم اللوحة ، ولم يفق من تاملاته الا على صوتها تساله ثانية: ما بالك لا تجيب؟ كم ثمن هذه اللوحة . ؟

واحتار بم يجيبها : لقد كان بوده أن يقول لها انها مقدمة بلا ثمن ؛ ولكن ايمكن ان ترضى بها ؟ وكيف تفسر هذا العمل منه ؟ وما معنى ان يهدي شاب لوحة لفتاة لم يعرفها ولم يرها قبل هذه اللحظة ؟ ؟ وتخلصا من هذه الافكار طلب منها ثمنا زهيدا جدا نقدته اياه بعد ان طلبت اليه أن يرسلها الى بيتها الذى اعطته عنوانه .

وشعر منذ تلك اللحظة أن حبها قد غزا قلبه ، والا فما معنى هذا التفكير المستمر فيها والانفعالات العنيفة اذا ما ابصرها تمر من أمام معرضه ؟ ان لم يكن هو الحب فماذا يمكن ان يكون ؟

واخيرا راودت خياله فكرة :اذا كنت تحبها حقا فلماذا لا تتقدم لطلب يدها فتحقق بذلك سعادتك وتقضي واياها العمر كله ؟ وما قيمة حياتك الجافة دون زوجة تسعدك وتوفر لك الهناء ؟ واختمرت فكرة الزواج منها في راسه فاخبر بذلك والدته التي سرت بالفكرة ورحبت بها .

وكان يوم ذهب هو ووالدته يخطبان تلك الفتاة . ووجدا من والديها كل ترحيب فان شهرته كفنان كانت قد سبقته اليهما ، وكان اسمه ومعرضه يجريان على لسان الكثيرين بكل اجلال واكبار .

وكان خطبة ثم كان الزواج ، وعاش مع عروسه اشهرا يعبان من كؤوس السرور والسعادة المترعة ، عاشا طوال تلك الاشهر كعاشقين لا يطيق احدهما فراق الاخر لا كزوجين. وهجر في خلال ذلك فنه ، ولم يعد الى لوحاته يخاطبها ولا الى تماثيله يحادثها كما كانت عادته بل تفرغ الى زوجته .

وداع

اودعك ... والدمع يترقرق فى مقلتي
فيطفو منهمرا كالوابل على خدي
اودعك وكلمة الوداع تابى ان ترسمها شفتاي
والفؤاد كسير والعقل حائر ينفي الواقع العسير
ايها الراحل عني ، والحنين الى الوطن يجذبك
ترفق بقلب حزين لم يتعود الصبر على فراقك
تذكر ، وقد احاط بك الاهل والاحباء
فتاة فى الغربة ، يغمرها الشوق الى الوطن
وتهفو ان تكون بقربك ، فتنهل حديثك العذب
وتانس الى وداعة صوتك الساحر
وتجتلى نور وجهك الباهر ...
لا تدع يد النسيان تمحو ذكريات
نقشناها على صفحات الزمان هنية
ولا تقل : تلك ايام ولت ولن تعود
فاذا كانت الفيافى والبحار تفصل بيني وبينك
فساظل على وفائي ، راعية لذكراك
واشعر بقربك مني وانت بعيد
واخاطب طيفك علٰه يجيب
واذا ما دعوت ربي ابتهلت اليه فى خشوع وايمان
ان يجمع شملنا ويصون ودنا ويرعاك بعنايته
حتى ... نلتقي .

واشنطن — صفية ابو شادي.

ولكن الفنان الحق ، وان تلهى عن فنه فترة ، فانه لا بد وان يعود اليه يوما اشد شوقا من ذي قبل . واخذ صاحبنا يعود الى ريشته وادواته رويدا رويدا مستجيبا لنداء فنه ، واخذ يسلو تلك الفتاة التى اخذت تحس بالفراغ في حياتها ، وبخيبة املها في الزواج من انسان عشق فنه ولا يمكن لقلبه أن يتسع لسوى ذلك الفن ، وعاد الى سالف عهده ، فاخذ يقضي الساعات الطوال ممسكا بادواته لينحت تمثالا رائعا ولم يعد يجد الوقت الكافى ليجلس الى عروسه يناجيها ويطارحها الغرام كما كان يفعل في ايامه الاولى .

واحست تلك العروس ان فى روحها ظما الى الحب ، وشعرت ان في حياتها فراغا لا بد ان يملأ . ولكن اين هو ذلك الذى يملأ عليها فراغ حياتها ويروي ظمأ روحها ؟ انه مشغول عنها بتمثاله الذى ينحته منذ اسابيع والذي لن يفرغ منه قبل وقت طويل . ولم تكن تعلم انه انما يصنع تمثالا لها يود تقديمه فى الذكرى الاولى لزواجهما . وكان كل همه ان يجعل منه تحفة العمر ، وان يتوج به أعماله الفنية ، كان يود ان يجعله صورة حية ناطقة لتلك الزوجة التى احبها ووهبها قلبه فحرص على ان يجعل وجهه صافيا صفاء الماء وقلبه طاهرا طهارة انفاس الملائكة ، انه يمثل الطهارة ، والعفة ، وطيب الخلق : يمثل زوجته التي ملكت عليه فؤاده والتي سيفاجئها به حين يقدمه لها كهدية في عيد زواجهما . ليتها تعلم — وانى لها ان تعلم — انه ليس تمثالا عاديا كبقية التماثيل ؟

اما هي فقد كانت تحس بالفراغ في حياتها يزداد يوما بعد يوم ، ولذا فقد اخذت تبحث عن ذلك الذى يمكنه ان يملأ ذلك الفراغ ويروي عطش ذلك الجسد الشاب الثائر : وقد وجدته اخيرا ، وجدته ممثلا في ذلك الشاب الذى حل جارا لهم قبل ايام ، والذى جاء من ريفه البعيد طلبا للعلم . كان شابا وسيما تهفو اليه كل عذراء وتتمناه كل غادة . ولقد استطاعت بما وهبته من فتنة ان توقعه في حبائلها فتجعله أطوع لها من بنانها : لا يعصي لها امرا ولا يرفض لها طلبا . واخذت واياه يعبان من كؤوس اللذة الاثمة ، وانزلقت الى مستنقع الرذيلة .

وحين كانت تقترف تلك الاعمال وترتكب الفحشاء كان التمثال يذوي شيئا فشيئا ، لم يعد له ذلك الوجه الذى يمثل صفاء الماء بل اصبح اسود قاتما كالقطران ، ولم يعد مكان القلب طاهرا نقيا طهارة انفاس الملائكة بل غدا قذرا مدنسا كحماة الرذيلة تنفر العين من النظر اليه .

وذات يوم وبينما هي في احضان عشيقها يقطفان اللذة المحرمة ويقترفان الاثم شاهد الفنان تمثاله يذوي تدريجيا كما تذوي ورقة الخريف ، وعجب في نفسه لذلك التغير المفاجي ، يطرا عليه وحاول ان يجد سببا لذلك فاعياه ، وما وعى التمثال الا وهو يهوي الى الارض بعد ان عجزت قاعدته عن ان تحمله .

ووقف الفنان امام تمثاله الذى كان يمثل الطهارة والعفة ونقاء القلب والجسد ينظر اليه بعين دامعة وقلب حزين ، وجعل يبكيه كما يبكى الوالد اعز ابنائه ويحاول ان يعرف لم سقط التمثال .

جنين — احمد عبد العزيز

الشاعر ميخائيل نعيمة

بقلم خضير عباس الصالحي

ميخائيل نعيمة واحد من ابناء المدرسة الحديثة فـي الشعر ، حيث سار على النمط الكلاسيكي ، والشـكل التقليدي القديم للقصيدة ، وشجب بكل قواه تكرار القوالب الجاهزة ، والتعابير الفجة ، والمعاني المبهمة ، وسعى الى تخليص الكلمة من الثقل الرنيني ، و رصد مشاعره رصدا فنيا اصيلا ، مع جمال بيانه التصويري الخلاق ، وسلامة عباراته اللغوية ، واستجاباته النزوعية ، المشحونة بدفء العاطفة وحرارة القلب ، وكافح هذا الرجل الصامد المترّوب وتغرب منذ نعومة اظفاره وهو يقارع الطغيان و الاستبداد من اجل الحرية ، وعرف بوفرة تجاربه ،ونضوج تفكيره ، ورصانة عقيدته ، وتعشقه للمثل العليا ، فحشـد كل طاقاته الفكرية للعمل بجد وتفان ، لاقامة الحق ، ونقد واشاعة العدل ، وارساء قواعد الانسانية ، وبلورة رسالتها المقدسة ، ونقد الحياة للكشـف عما فيها من فضائـل وشرور . .

وهو نمط وحده في شعراء العصر ، من حيث قيمه الفكرية والروحية والبلاغية ، وفي صلواته للطبيعة ، والدفاع عن كرامة الانسان اينما كان ، ثائر الوجدان ، قوي الحجة ، طلق اللسان ، يركض وراء المعنى الشارد ، مع حـرارة العاطفة ، ورهافة الحس ، وحدة الذكاء ويتجه في شعره اتجاها انسانياً قويا وهو طابعه البارز ، ويرتفع باغراضه عن المديح والرثاء والغزل المائع المبتذل ، ويعبر عما وراء المرئيات من المعاني ، ويتوغل في مجاهل النفس البشرية ، ويحلق في افاق الكون على جناح الخيال الرفاف ، ويساير كل مقومات التجديد ، متأثرا بالثقافات الروسية والاميركية والفرنسية ويحتفظ بالروح الشرقية ازاء المادية الغربية ، وذلك لاستبطاناته الصوفية وتأملاته الاستغراقية .!

وهو احد ادباء المهجر الذين استحدثوا في الفكـر العربي المعاصر مدرسة جديدة لها مقوماتها وطابعها الخاص سبروا غور الحياة عن طريق التأمل والتساؤل وفلسفته تتمثل في وحدة الوجود والاخاء الانساني وعقيدة التناسخ ، احب الطبيعة واندمج فيها ،واستلهم منها روائع الشعر الذي يحوي ابتكارات ذات اهمية بالغة في الصور والمعاني ، وفي الاغراض النبيلة ، والاهداف السامية ، وفي التطلع الى مشارق النور والدفاع عن قضايا حرية الفكر ، ومساندة قوى الخير .

ولد ميخائيل نعيمة سنة ١٨٨٩ في قرية بسكنتا الوادعة التي انتشرت بيوتها على سفوح جبل صنين بلبنان ، وفيها تلقى علومه الابتدائية في المدرسة الروسية ، وبالنظر لاجتهاده وتفوقه حصل على بعثة سنة ١٩٠٢ الى مدرسة المعلمين الروسية بمدينة الناصرة في فلسطين حيث برز ذكاؤه المتوقد بشكل اثار الاعجاب ، فاستحق بعثة الى مدينة بولتافا في اوكرانيا الروسية في سنة ١٩٠٦ وقد التحق بمعهد (السمنار) وقضى فيه خمس سنوات فتزود خلالها من الادب المتسم بالواقعية والبساطة بزاد خصيب ،واجاد الكتابة باللغة الروسية نثرا و شعرا ، واكتملت لدى الشاعر موهبته ، فنظم قصيدته الرائعة (النهر المتجمد) باللغة الروسية ، وهي حقا رائعة ، ثم نقلها الى اللغة العربية : وهو في نيويورك ، وكانت نقطة انطلاق الشاعر في مضمار الانتاج الشعري ، وفيها يبرز شعوره بالوحدة ، وما يعانيه من ازمة القلق والتمزق ، ويفصح لنا عن افكاره القلقـة الحائرة ، مع رقة التعبير العاطفي وعمق المحتوى . !

وعاد بعد ذلك الى بلاده ، ولكنه لم يكد يلقي عصا الترحال حتى أصطحبه اخوه معه الى الولايات المتحدة عام ١٩١١ حيث درس الحقوق في جامعة واشنطن وظفر باجازتهـا العلميـة سنة ١٩١٦ .

وقد هجر الشعراء المهجريون – وميخائيل نعيمة من ابرزهم – سورية ولبنان تخلصا من سوء الاوضـاع السائدة الشاذة ، وفرارا من البغي والعدوان ،والتماسا للكسب في افق فسيح ، وانتجاعا للطمأنينة النفسية في ظل الحرية الوارف ، بعد ان ضاقت نفوسهم ذرعا في كنف الاوطان المكبلة بالاغلال ، وفي واشنطن بعد أن كان ميخائيل نعيمة قد استكمل اسباب النضج بدات عبقريته بالتألق والتوهج ، وتكشفت عن مواهب فنية ذات شأن ، نحرر في مجلة «الفنون» للشاعر نسيب عريضة ، وفي جريدة «السائح» للكاتب عبد المسيح حداد ، وهما من زملائه في مدرسة المعلمين الروسية في الناصرة بفلسطين ،وانتقل الى نيويورك فتعرف على الشعراء ايليا ابو ماضي ورشيد ايوب وجبران خليل جبران ، والاخير كان عميد الرابطة القلمية ، واصبح ميخائيل نعيمة مستشارها .

وفي سنة ١٩١٧ تركت الولايات المتحدة حيادها واشتركت في الحرب العالمية الاولى الى جانب بريطانيا وفرنسـا ، وشمل ميخائيل نعيمه قانون التجنيد الاميركي ، وصـار جنديا عام ١٩١٨ فدفعت به الاقدار الى الجبهة الفرنسية وجعلته وجها لوجه امام المأساة الانسانية بجميع ملامحها ، ونفذ في صميم الاحداث الدامية ، وعاش في قلب المعركة الكبرى ، والمذابح الرهيبة ، لا يبالي بالخطر الذي يتهدده ، والذي انزل ضربات قاسية موجعة بالبشـرية جمعاء ، الضربات التي تركت في نفسـه جراحات عميقة الغـور ، لونت مشاعره بالكآبة والشجون ، واضرمت في كيانه المـا ثوريا ايجابيـا لا خنوع فيـه ولا استخذاء ، ومنذ تلك اللحظة الحاسمة وهـو في غمرة الاحداث المثيرة ، اندفع تيار عواطفه الجياشة بالاخلاص متدفقا قويا معبـرا عن تصميمه الاكيد لاحتضان الاهداف الانسانية التي هي اروع مظهـر من مظاهـر قوة شعوره الاخوي الفياض .

وما ان القت الحرب الشعواء أوزارها حتى تولدت رغبته في الالتحاق بجامعة رين الفرنسية ، فدرس تاريخ فرنسا السياسي والادبي والفني ، ورجع الى نيويورك سنة ١٩١٩ واشتغل موظفا فى محل تجاري براتب متواضع ، وفي سنة ١٩٣٢ غادر الولايات المتحدة الى وطنه لبنان ، وحمل معه كتبه المخطوطة بعد ان توفي صفيه وخليله جبران خليل جبران رائد الفكر العربي المتجدد في المهجر

قفل ميخائيل نعيمة راجعا الى ارض بلاده الطيبة الخضراء ليعيش في ظلال الشخروب اذ يملك فيها مزرعة ورثها عن ابائه ، ومن ابرز كتبه « الغربال » الذى يعد من الدعامات الاولى في النقد الادبي المعاصر ، والمتمسك باصول الفن ومبادئه القويمة ، ويحدثنا عنه الناقد المصري المبدع محمد مندور فيقول « والغربال كما هو معروف كتاب للاستاذ ميخائيل نعيمة حمل فيه حملة عنيفة على تقاليد الشعر العربي المتوارثة التى ساقته الى المحاكاة والتحجر ونزلت به الى التكسب او التفاهة ، ولكنه عالج موضوعه على اساس نظري فلسفي عام لم يتعرض فيه لشاعر او شعراء بالذات ، ولم يحاول ان يطبق نظرياته على اي شاعر قديم او حديث ، وكل ماطالب به هو ان يتجه الشعر العربي الحديث نحو أهدافه الحقة وهي اهداف تنبع من صميم الحياة وطبيعة البشر وحاجاتهم المختلفة مثل الحاجة الى التعبير عن النفس والمجتمع ، والحاجة الى الجمال والطرب بالموسيقى والتصوير البياني الخلاق »

وفي روايته « لقاء » يظهر لنا عقيدة تناسخ الارواح التى رسخت في ذهنه وغلبت على اكثر نتاجه الفكري .

وميخائيل نعيمة اليوم مفخرة من مفاخر لبنان في الشرق العربي ، وهو ثروة فكرية قلما يجود الزمان بها ، واطلق عليه ناسك الشخروب ، و الشخروب كلمة عربية فصحى تعني العمود الفقري ، ويقع في سفح جبل صنين ، ولعله سمي كذلك للصخور التي تمتد في أعاليه من الشرق الى الغرب مسافة خمسمائة متر تقريبا وتشبه السلسلة الفقرية .

وفكر بالزواج اكثر من مرة حتى بلوغه سن الاربعين ولكن ظروفا غير متوقعة حالت دون تحقيق امنيته ، ولما عاد الى وطنه الحبيب لبنان مصدر الاشعاع الفكري انصرف بكليته الى العمل الادبي ، وظهر له ان تلك الظروف كانت في صالحه ، فقد تفرغ لتادية رسالته الانسانية الشريفة ، ووجد نفسه انه لم يخلق ليكون بعلا لامراة بل اخا لها ! وبالرغم من كل هذا فلم يحرم من الاستمتاع بالحياة العائلية فهو الآن يعيش مع أسرة اخيه نجيب وقرينته زكية واولادهما الثلاثة يوسف ونديم ومي ، واما شقيقه اديب فما يزال في الولايات المتحدة .

وقيل له مرة لم لم تتزوج ؟ فاجاب : ان الذي يريد أن يحاور النجوم لا يستطيع التحليق وهو مكبل بسلاسل الزواج . وحينما سئل عن إسباب عدم سكناه المدينة ، رد قائلا : « لاني أكره ضجتها وحيث الناس يعيشون في أوكار وفيها تصطرع الشهوات اصطراعا محموما ، واني اومن بان جو الريف يؤثر الى حد بعيد في مجري تفكيري حيث افكر تفكيرا صحيحا صافيا ، ولم اتهرب من الناس ، بل على العكس فاني احبهم بكل جوارحي ، واعتقد انني اذا لم ارهم بمنظار صاف لما استطعت ان ارى ما فيهم من حسنات ولا ان ادلهم على طرق غير التي يسلكونها ، وفى اعتقادي أن الانسان اعظم بكثير من كل اعماله ، ومن الحرام ان يغرق في رغوة من الحركة لا بركة فيها » .

وقال « مهما يكن شاني اليوم او غدا في دنيا الفكر والقلم ما برحت واحدا من الناس تنعكس حياتي في حياتهم ، وحياتهم في حياتي ، وما قيمة ما كتبته وسوف اكتبه الا في التجاوب بيني وبين الذين يقراونني من الناس ، وفى مدى التفاعل بيني وبينهم ، ولو لم تكن بيننا اشياء كثيرة مشتركة لما كان هناك تجاوب او تفاعل ، فطينتي طينتهم ، وغريزتي غريزتهم ، وارضي ارضهم ، وسمائي سماؤهم ، وهوائي هواؤهم وشعوري باللذة والالم شعورهم » .

ولما عاب عليه بعض المغرضين اعتزاله الناس القمهم حجرا بقوله « ولست اظن آن بين كتابنا المعاصرين من يحدب على العامل والمزارع ، وعلى المحروم والمظلوم ، حدبي عليهم ، او من مجد العمل تمجيدي له ، أن الذين يعيبون علي ابتعادي عن الارض لم يقراوا غير القليل مما كتبت ، ولعلهم فهموه على غير منحاه ، ومن الاكيد انهم لا يعرفون شيئا عن حياتي الخاصة ، ولو عرفوا لوجدوني الصق منهم بالارض وابناء الارض ، فانا قروي وابن قروي ، وصوت الارض ابدا فى اذني ، وعبيرها فى انفي ، وحبها فى دمي ، وابناؤها معي في كل حين » .

فهو من الذين يتعشقون الزراعة لانه احب الارض وكل ما تنبته من اشجار ، وله ولع خاص باحياء الارض الموات ، واضفاء شيء من الجمال اذا كانت تفتقر اليه .

وفي رايه يكون اصلاح الانسان من داخل نفسه باجتثاث جذور الحقد والجشع والنفاق والرياء وحب الذات والاثرة والانانية ، وتربية النفوس على المحبة والايثار والتضحية فقال « واذا انا اخترت ان اقف ادبي على بناء الانسان من الداخل فلانني واثق كل الثقة من انه يوم يصطلح داخله ، يصطلح خارجه ، ونحن اذا قضينا في قلب الانسان وفكره على بذور الكره والجشع والنفاق والرياء وحب الاثرة والسلطان وزرعنا بدلا منها بذور المحبة والقناعة والصدق والاخلاص والدعة والتسامح ، قضينا على الحرب والاحتكار والظلم والجوع والخوف والعبودية » .

وقال « والنظام الخلقي يقضي بأن نعامل الغير معاملتنا لانفسنا ، لاننا لو احسنا التفكير ، لوجدنا أننا والغير يتمم واحدنا الاخر ، واذ ذاك فمحبتنا لانفسنا تحتم علينا محبة الغير كذلك ، واي اساءة نلحقها بالغير اساءة نلحقها بانفسنا»

وفي نظرته الفلسفية للحياة يقول « يدلني عقلي على وجود نظام في الكون ، هذا النظام في الكون وفي داخلي بالوسائل التي وضعها المنظم تحت تصرفي ، العقل، الخيال، البصيرة، الوجدان ، الارادة ، ومتى احسن البشر استعمال هذه الوسائل امنوا شر الامراض والاوجاع التي هي دروس يلقيها المنظم على من يخالف نظامه ».

وهو الان في السبعين من عمره المديد المثمر حيث ينفق وقتا في التامل واخر في الراحة والنزهة والعيش مع الطبيعة التي ما مستها يد انسان ، والطبيعة عنده من اعذب الموارد التي يستقي منها افكاره الخيرة ، ويستوحي ابداعاته الادبية الخالدة، وله حديقة صغيرة موشاة بالازهار الجميلة ، يوليها عناية فائقة ، اذ يستيقظ باكرا في الساعة الخامسة فيرويها بيديه ، وينقيها من الادغال والاعشاب الضارة ، وينكش التراب حولها ، وفي الساعة الثامنة يرتاد مكتبه ويبقى فيه حتى حلول موعد الغداء ، وبعد فترة استراحة قصيرة ، يستانف دراساته ومطالعاته فينكب على عمله الفكري حتى هبوط ظلام المساء ، وعندها يخرج للنزهة واستنشاق عبير الارض حول منزله ، ولا يبتعد عنه بسبب الشيخوخة فلم يتمكن من القيام بمسيرة مبهجة في شعاب الجبال والاودية المجاورة كما هو الحال حينما كان في شرخ الشباب وعنفوان الكهولة ، ويأوي الى سرير النوم في ساعة مبكرة من الليل !

وميخائيل نعيمة كشاعر لعب دوره المهم في توطيد دعائم الشعر المهجري على اسس متينة ، الشعر الذي ظل وسيبقى قادرا قدرة خارقة على انتزاع الاعجاب والاثارة والدهشة ، فاستعمل الابحر المجزوءة والقوافي المتنوعة، مع سخاء في المعنى ، وعذوبة في الاداء ، وايجاز في اللفظ ، ينسج من خيالاته المحلقة خيوطا ملونة يوشح بها شعره الطافح بالتدفق والصفاء والاشراق والانطلاق ، الزاخر بالوحدة العضوية الحية ، وبالصور الشعرية الممتعة ، الصور النابضة بالحيوية والابداع الخيالي الشفاف ، مع الايقاع الموسيقي المحبب ، والتعبير الدقيق عن التجارب الواعية بطريقة ايحائية ، ووحدة الموضوع واتقان هيكله واحكام تعابيره ، وترصين معانيه فيقول في قصيدته « الطمانينة » التي يبرز لنا فيها قوة ارادته ، ومضاء عزيمته ، وشدة ثباته في وجه الحق والمصاعب والمشاق التي تعتور طريق حياته الكفاحية الراهنة !

سقف بيتي حديد ... ركن بيتي حجر
فاعصفي يا رياح ... وانتحب يا شجر
واسبحي يا غيوم ... واهطلي بالمطر
واقصفي يا رعود ... لست اخشى خطر
سقف بيتي حديد ... ركن بيتي حجر

من سراجي الضئيل ... استمد البصر
كلما الليل طال ... والظلام انتشر
واذا الفجر مات ... والنهار انتحر
فاختفي يا نجوم ... وانطفي، يا قمر
من سراجي الضئيل ... استمد البصر

باب قلبي حصين ... من صنوف الكدر
فاهجمي يا هموم ... في المساء والسحر
وازحفي يا نحوس ... بالشقاء والضجر
وانزلي بالالوف ... يا خطوب البشر
باب قلبي حصين ... من صنوف الكدر

وفي شعره دعوة حارة الى التفاؤل واشاعة الطمانينة في النفوس ، فيناشد روحه الشاعرية الخفاقة ان تتغنى مع الاطيار في حقول الحياة الخضراء اذ لم يكن العمر غير لحن رخيم مغناج فيقول :

لما اتتني ... بالامس روحي
تشكو جروحا ... فوق الجروح
همست سرا ... في دوح روحي
يا روح غني ... ولا تنوحي

فالعمر لحن ... اذ تسمعينه
تعين منه ... ما تنشدينه
والعيش حقل ... تنثر بذره
يعطيك مما ... تستودعينه

وفي قصيدته « اذا سماؤك يوما » يصل الى مستوى اكثر عمقا ، واكثر اتساعا في مجال تفهمه للحياة التي لم تكن غير برهة وجيزة في حساب الزمن ، وعلى الانسان الواعي ان يستغلها في تحصيل المعرفة ، وخدمة البشرية ، او مجابهة الشدائد بثغر باسم ، وصدر عامر بالايمان ، فوراء الغيوم الدكناء نجوم براقة ، وتحت الثلوج المتجمدة مروج خضراء وفي الداء كل الدواء ، وفي اللحد مهد الحياة ! وقد استطاع الشاعر ان يستقطب وعي القارئ ومشاعره في صيغه الفنية الرائقة وانطلاقته الانسانية المثيرة فيقول:

اذا سماؤك يوما ... تحجبت بالغيوم
اغمض جفونك تبصر ... خلف الغيوم نجوم
والارض حولك اما ... توشحت بالثلوج
اغمض جفونك تبصر ... تحت الثلوج مروج
وان بليت بداء ... وقيل داء عياء
اغمض جفونك تبصر ... في الداء كل الدواء
وعندما الموت يدنو ... واللحد يفغر فاه
اغمض جفونك تبصر ... في اللحد مهد الحياة

وفي قصيدته « اخي » يبلغ ذروة مجده الشعري ، وقد قرظها الناقد المصري المعروف محمد مندور في كتابه « الميزان الجديد » واضفى عليها ما تستحقه من الثناء العاطر بعد ان نقدها نقدا موضوعيا سديدا ، وقد قالها الشاعر حين تناهت اليه انباء المجاعة المروعة التي اجتاحت سورية ولبنان ، ففتكت بشعبيهما فتكا ذريعا ، وتميز شعره في هذه القصيدة بالنزعة الثورية ، والانسانية العميقة ، مع شيوع الروح العاطفية في جو القصيدة ، تلك الروح الاصيلة التي تصدر عن تجربة نفسية متكاملة ، تنبع من القرار البعيد :

اخي أن ضج بعد ألحرب لمربي بأعماله
وتدس ذكر من ماتوا وعظم بطش ابطاله
فلا تهزج لمن سادوا ، ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلي بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا

اخي ! ان عاد بعد الحرب جندي لاوطانه
والقى جسمه المنهوك في احضان خلانه
فلا تطلب اذا ما عدت للاوطان خلانا
لان الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى اشباح موتانا

اخي ان عاد يحرث ارضه الفلاح او يزرع
ويبني بعد طول الهجر كوخا هده المدفع
فقد جفت سواقينا وهد الذل ماوانا
ولم يترك لنا الاعداء غرسا في اراضينا
سوى اجياف موتانا

اخي ! قد تم ما لو لم نشاء نحن ما تما
وقد عم البلاء ولو اردنا نحن ما عما
فلا تندب: فاذن الغير لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خندقا بالرفش والمعول
نواري فيه موتانا

وفي قصيدته « النهر المتجمد » يبلغ شأوا بعيدا من الروعة والابداع والخلق الفني ، وهي منبعثة من صميم احساسه المتقد ، استعمل فيها اسلوبا تصويريا يموج بالالوان والظلال ، ويترقرق بالانغام الموسيقية الحية ، تلك الانغام الدرامية الحادة ، واعتمد الصور الشعرية في تجسيد فكرته المعمقة ، والمليئة بالاحاسيس العاطفية العنيفة ، والمعبرة عن القلق والضيق اللذين غمرا حياته في بلاد الاغتراب ، واسهب في التعبير عن عواطفه الحارة المتدفقة ، وفي تصوير مرحلة نفسية متأزمة توحي بالكآبة والحزن ، وكانت مصدرا من مصادر الالم المرير في حياة الشاعر التي قارن بينها وبين منظر النهر المتجمد الذي اصبح ترين عليه الوحشة والشقاء والبؤس ، وقد كان في الامس القريب يفيض بالبهجة والجمال والازدهار ، فيقول :

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير
ام قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير

بالامس كنت مرنحا بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها احاديث الدهور

بالامس كنت تسير لا تخشى الموانع في الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق

بالامس كنت اذا اتيتك باكيا سليتني
واليوم صرت اذا اتيتك ضاحكا ابكيتني

بالامس كنت اذا سمعت تنهدي وتوجعي
تبكي وها ابكي انا وحدي ولا تبكي معي

ما هذه الاكفان ؟ أم هذي قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك بها يد البرد الشديد

ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيبا كلما مرت به ريح الشمال

تاتيه اسراب من الغربان تنعق في الفضا
فكأنها ترثي شبابا من حياتك قد مضى

وكأنها بنعيبها عند الصباح وفي المساء
جوق يشيع جسمك الصافي الى دار البقاء

لكن سينصرف الشتا وتعود ايام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع

وتكر موجتك النقية حرة نحو البحار
حبلى باسرار الدجى ، تعلى بانوار النهار

وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافي النسيم
وتعود تسبح في مياهك انجم الليل البهيم

والبدر يبسط من سماه عليك سترا من لجين
والشمس تستر بالازاهر منكبيك العاريين

وتعود للصفصاف بعد الشيب ايام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب

قد كان لي يا نهر قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه اهواء وآمال تموج

قد كان يضحي غير ما يمسي ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه امواج الامل

سيان فيه غدا الربيع مع الخريف او الشتاء
سيان نوح البائسين وضحك ابناء الصفاء

يا نهر ذا قلبي اراه كما اراك مكبلا
والفرق انك سوف تنشط من عقالك وهو لا

وفي قصيدته « من انت يا نفسي » يعلن فيها عن عقيدته بوحدة الوجود ، وهي الى جانب ذلك عمل ناضج ، تشع ظلالها بغير زيف ولا افتعال ، وهي انعكاس انفعاله الشديد مع الطبيعة ، وحصيلة تراث عريق من الخلق والابداع والمشاعر العميقة التي تصطرع في داخله ؛ في صدى احلامه المنغومة التي يرتشفها من ينابيع الحياة المشرقة مع عمق في المعنى ، وجمال في الشكل ، فيقول :

ان رايت البحر يطغى الموج فيه ويثور
او سمعت البحر يبكي عند اقدام الصخور
ترقبي الموج الى ان يحبس الموج هديره
وتناجي البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعا منك اليه
هل من الامواج جئت
ان سمعت الرعد يدوي بين طيات الغمام
او رايت البرق يفري سيفه جيش الظلام
ترصدي البرق الى أن تنطفي منه لظاه

وبكف الرعد لكن تاركا فيك صداه

هل من البرق انفصلت

أم مع الرعد انحدرت

ان رايت الريح تذري الثلج من رؤوس الجبال
او سمعت الريح تعوي في الدجى بين التلال
تسكن الريح وتبقى باشتياق صافية
راشداً بك ولكن انت عني نائية
في محيط لا أراه

هل من الريح ولدت

ان رايت الفجر يمشي خلسة بين النجوم
ويوشي جبة الليل المولي بالرسوم
يسمع الفجر ابتهالاً صاعداً منك اليه
وتخري كنبي هبط الوحي عليه
بخشوع جاثية

هل من الفجر انبثقت

ان رايت الشمس في حضن المياه الزاخرة
ترمق الارض وما فيها بعين ساحرة
تهجع الشمس وقلبي يشتهي لو تهجعين
وتنام الارض إلا انت يقظى ترتبين
مضجع الشمس البعيد

هل من الشمس هبطت

ان سمعت البلبل الصداح بين الياسمين –
يسكب الالحان ناراً في قلوب العاشقين
تتلظى حزناً وشوقاً ، والهوى عنك بعيد
فاخبريني ، هل غنا البلبل في الليل يعيد
ذكر ماضيك اليك

هل من الالحان انت

ايه نفسي ! انت لحن في تردد صداه ،
وقعته يد فنان خفي لا اراه
انت ريح ونسيم ، انت موج ، انت بحر
انت برق ، انت رعد ، انت ليل ، انت فجر
انت فيض من الله

وفي قصيدته (خبل التمني) ينظر الى التمني على انه نوع من الشقاء المر ، والعبودية القاتلة للمواهب ، وحاول ان يعطي التمني مدلولاً جديداً ، وفيها يوضح لنا مختلف الوان الامنيات التي تستحوذ على نفس كل انسان في شتى مراحل حياته ، وهي الاخرى تمثل هواجس الذات المنفعلة، وموجة التشاؤم الطاغية عليها ، مع الانفعالة المحركة للوجدان ، وعمق الصور الشعرية ، ووحدة الموضوع ، فيقول :

نتمنى وفي التمني شقاء
وننادي يا ليت كانوا وكنا
ونصلي في سرنا للاماني
والاماني في الجهر يضحكن منا
غير اني وان كرهت التمني
اتمنى لو كنت لا اتمنى
تعنيرا قد كنت اطلب لو كنت
كبيرا ولي صفات الكبير
وكبيرا لو عدت طفلا صغيرا
واسترددت نفسي نعيم الصغير
وخليا لو كنت بالحب مضنى
واسير الغرام لو كنت حرا
ووحيدا لو كان حولي ناس
ومحاطا بالناس لو كنت وحدي
وغريبا لو كنت ما بين اهلي
وقريبا لو طال او دام بعدي
وفقيرا لو كان لي بحر مال
وغنيا لو كان لي نصف مالي
لكم حالة طمحت اليها
قائلا ان بلوتها قر بالي
واراني ما زلت عبد الاماني
اتمنى لو كنت في غير حالي
غير اني لا بد ابلغ يوما
فيه امسي حرا عديم التمني

وفي قصيدته « الى سنة مقبلة » قلق واضطراب نفسي وهي حصيلة المخاض في أعماق تجربته الذاتية ، ولم تكن هذه السنة المقبلة غير صدى الماضي وصوت الغد ، فلا الجائع فيها يشبع ، ولا المرء يهجع ، ولا الطامع يقنع ، والناس يحاولون عبثا حل الغازها ومعرفة اسرارها ، والحيرة قد سيطرت عليهم واخذت بخناقهم ، ولكن السر الدفين في حقيقة الواقع لم يكن الا كامنا في أغوارهم ، فيقول ،

ما انت في سفر الزمان العظيم
الا صدى الماضي وصوت الغد
فيك استوى من قبل ان تولدي
قطبا حياة نحن فيها نهيم
لا جوعها يشبع
لا مرؤها يهجع
لا طامع يقنع
فيها ولا الزاهدون
الناس في اسرارها حائرون
والسر لو يدرون فيهم مقيم

وفي قصيدته « لو تدرك الاشواك » صدق وصراحة ، فهو لا يحسد ساكن القصر الشامخ حتى ولا يغبطه ، لان خير القصور عنده هو قصر افكاره واحلامه .

وهو لا يعير اقل اكتراث للباكي على صديقه الراحل وان كان انبل انسان ، لانه سرعان ما تطويه يد النسيان ، وينسدل عليه ستر الاهمال ، اما هو ففي كل يوم يموت له رجاء ثمين ! ويتهكم بالغني البخيل ، وينظر اليه بعين السخرية اللاذعة ، لانه يكد الليل والنهار في سبيل تكديس الاموال فلا يعرف لونا للدنيا الحافلة بالتطورات والانقلابات الفكرية غير لون النضار البراق ، ... والشاعر لا تعتريه الغصة والحسرة من غنى هذا البخيل السابح في ظلمات الجهل والعمى ، ولا يناشده ان يشفق عليه وان كان فقيرا بائسا اذ حسبه غنى النفس الذي هو كل شيء ، في وجوده وقوام شخصيته الانسانية وجوهر مبادئه السامية فيقول

يا ساكن القصر الجميل اغتبط
يا صاحبي راضيا بقصر جميل
ولتسقك الايام من كوثر اللذات
ولتمنحك عمر طويل
تجني الهنا عاما ورا عام

لا ، لا تقل ما راتني قعرك العالي
او انني لم يطب لي هواه
بل ان لي يا صاح قعرا ابت
نفسي بان تلجا لقعر سواه
ذا قعر انكساري واحلامي
يا جالا بين اللحود التي
سكانها انحدروا ترابا ودود
اي ان من تبكيه يا صاحبي
لا شك خدن او صديق ودود
او ان تشا قل خير انسان
لكن غدا تناه امانينا
تفني حياتي كل يوم دفين
اذ انني اجتث زاد البلى
مني وكم يبلى رجاه ثمين
في لحظة من عيشنا الفاني

يا حائد الاسوال قلنا الى
تلى بكد الليل قبل النهار
ايابه منفر كاعوامه
لا لون فيها غير لون الغبار
مياه تجري حيث لا تدري
لا والذي الاقدار خبايه
ما في فؤادي غصة من غنى
اذ قد حباني الحظ بعض الغنى
يا صاحبي من غير ما قد حباك
تاخذ ولا تشفق على عمري

قف الشاعر مرة يخاطب البحر متسائلا في حيرة ، افيك يا بحر مثلي قلبان ؟ احدهما عبد قد استولى عليه الخنوع والانصياع ، والثاني حر ثائر على التقاليد البالية ، ناقم على كل ما تواضع عليه الناس من انانية واثرة وامجاد كاذبة تغذيها شهوة الجشع والضغينة ، وظل البحر ساكتا لا يرد عليه طوال الليل حتى لاحت تباشير الفجر ، وقد شملته فترة صمت رهيبة ، حيث أجابه نهر صغير كانت مياه تتدفق على مقربة منه ، قائلا : مثلما في الناس خير وشر ، ففي البحر مد وجزر ، والى القارىء الكريم هذه القصيدة البليغة في صياغة عباراتها !

اما تعبت ؟ عجيج   كر نفر فكر
ماذا تروم واني   تبير لا تستقر
كانما فيك مثلي   قلبان : عبد وحر
هذا يروم قرارا   من ذا وليس مفر
يا بحر ، يا بحر قل لي   هل فيك خير وشر
هل في سكونك امن   وفي هياجك ذعر
ام في امتدادك بر   وفي انقباضك عسر
وفي انخفاضك ذل   وفي ارتفاعك فخر
وفي سكوتك حزن   وفي هديرك بشر
يا بحر ، يا بحر قل لي   هل فيك خير وشر
وقفت والليل داج   والبحر كر وفر
فلم يجبني بحر   ولم يجبني بر
وعندما شاب ليلي   وكحل الافق فجر
سمعت نهرا يغني   . . « الكون طي ونشر
في الناس خير وشر   في البحر مد وجزر »

ولما كانت المرأة زينة الدنيا وبهجتها ، فالشاعر ميخائيل نعيمة من الذين عبدوا الحياة في كلفهم بالمرأة ، وهو احد شعراء القلب والعاطفة اذ عبر في الكثير من قصائده عن مكنونات وجدانه ، واحاسيس قلبه ، واحسن فيها نقل قلقه وشوقه للحب ، وتذوقه للجمال :

حدثني من الخدود التي   بالامس كانت مذابحا للجمال
تنطق المؤمنين بالكفر والكفار بالسبح للقوي المتعالي
نتبارى بلا انقطاع اليها   ونضحي لها باغلى الغوالي
كم سجدنا امامها وابتهلنا   وقرعنا صدورنا في الليالي
وحرقنا القلوب شا بخورا   ونظمنا العيون عقد لآلي

وقصيدته (ابتهالات) التي تمثل لنا استغراقه في التاملات الروحية ، وتزخر بالمعاني الجليلة ، يشرح فيها الشاعر جانبا من رسالته الانسانية التي اخذ على عاتقه تاديتها . . . فقد جعل من لسانه سيفا للحق يهوى به على مروجي الباطل حتى يعودوا الى جادة الصواب تاركين وراءهم تيار الرذيلة الجارف الذي انساقوا فيه ، وهو الانسان الكبير الذي يعمر قلبه الايمان بالحب والصبر والاخلاص والوفاء والصدق والحلم ،

وليكن لي يا الهي
من لساني شاهدان
صادقان
ان افه بالحق فليشهد معي
او افه بالبطل فليشهد علي
واذا ما قام غيري يدعي
يا الهي الحق في بطل وغي
فليكن سيفا لساني حده
في سبيل الحق ماضي لا يهابه
لا يكف الضرب حتى غمده
ينثني من غيه نحو الصواب
واجعل اللهم قلبي
واحة تسقي القريب

والغريـــب

مـــا زعـــا الايمـــان ، امـــا غرسهـــا
فالرجـــا والحـــب ، والصبـــر الطويــــل
جـــرمـــا الاخـــلاص ، امـــا شمسهـــا
فـــالـــرنـــا والصـــدق والحلـــم الجميــــل
فـــاذا مـــا راح فكـــري عبثـــــا
فـــي صحـــاري الشـــك يستجلـــي البقـــاء
مـــر منهـــركـــا بقبلـــي نجتـــا
تـــائبـــا يمتص مـــن قلبـــي الرجـــاء

وفي قصيدته « الى دودة » يوضح لنا ما يعانيه في حياته الفكرية من عوائق وصعاب ، حيث تتنازعـــه عوامل الشك واليقين ، ويتصارع فيه قلب مسلم للامور ، وفكر لا يقر له حال ، ولا يهدأ له بال ، فهو مصدر من مصادر الحزن المرير في حياة الشاعر ، ولكن حزنه لم يكن من ذلك النوع القاتم القاتل وهو يغبط (الدودة) هذا المخلوق الصغير الذي يدب على الارض طليقا فلا هم يضنيه لكشف حقائق الوجود ، او يشغل نفسه بالسؤال عن مد طول الارض ، وجعل الشمس مبعثا للنور الوهاج ، وعن قصد الريح من هبوبها ، وسبب طلاء الوردة الحمراء باللون القاني ، فيقول :

لـك الارض مهد والسماء مظلة	ولي فيهما من ضيق فكري سجنان
ففي داخلي ضدان : قلـــب مسلم	وفكر عنيد بالتساؤل افناني
توهم ان الكون سر وانـــــه	ينال ببحث او بياح ببرهان
فراح يجوب الارض والجو والسما	يسائل عن قاص ويبحث عن دان
وانت التي تستصغر الكل قدرها	ويحسبها بعض زيادة ونقصان
تدبين في حضن الحيـــاة طليقة	ولا هم يضنيك باسرار اكوان
فلا تسالين الارض من مد طولها	ولا الشمس من لظى حشاها بنيران
ولا الريح عن قصد لها من هبوبها	ولا الوردة الحمراء ومن لونها القاني

ولعل من نافلة القول : ان نؤكد بان ميخائيل نعيمة شاعر اصيل ، وشعره ذو صلة بحياة الانسان ومطامحه ، ويحمل بذور الاخوة الانسانية ، ويمثل الانطلاق التحرري من عقال الجمود ، ويعبر عن تفكيره التطويري وروحه الكفاحيـــة الصاعدة ، ويتمشى وينسجم مع مقاييس العقل الحديث ، ويتسم بالانسانية والشعبية والبساطة ، ويتوهج صدقا وايمانا بالانسان ويتغذى بالقيم الروحية التي تقوم علـــى اسس الانسانية والتآخي والفضيلـــة ، وفيه اغدق ارق عواطف الحنان ، وهو مخاض نوازعه العاطفية وازماتـــه النفسية ، وصورة صادقة من العصر الذي يعيشه والذي امتزج بوعيه ، ويتمثل جمالات الطبيعة ومذخوراتها ، وما يعج فيها من الاشباح والرؤى والعوالم المسحورة والاجواء النفسية ، فيصوغ اروع الصور الفنية الموشاة بالانطلاقة الجذرية الرائعـــة والطاقـــة الشعورية ورقة النغمة الموسيقية ، وهو يقضي كل يوم ساعات جميلة في احضان الطبيعة الرحبة فتمده بالمعطيات ، ويصور شعرية تتدافع وتتزاحم في ذاته ، ويسبكها في اجمل الاطـــر والاشكال ، ويوشحها بالنغم الشعري الهادىء المنساب لتنسجم مـــع القارىء روحا وتعبيرا ، وتشاركه شعـــوره واحساســـه ، ويعتمد في تناوله للمشاكل على اسلوبه الواضح المشرق واستبطان الحوادث ، ويتأثر بالبيئة ويؤثر فيها ، وشعره التقييم والتثمين الانساني على النطاق العالمي ، هو صدى لمحيطه وللاوضاع السائدة فيه ، يصب فيه رعشات الالم وزفرات الحزن ، ويتجاوب مع الحياة ، ويتفاعل واياها ، ويلهب العواطف الهامدة بوقود من ناره ، فهو شعاع مـــن القبس الانساني انطلقت منه شرارة التمرد .

ولا نتجاوز الواقع اذا قلنا ان الشعر المهجري كان اللبنة الاولى ، والحجر الاساسي في بناء كيان الشعر العربـــي الحديث كله ، بعد ان كان جسما بلا روح ، ومحصورا في نطاق محدود من الخيال ، ومجمدا في قوالب معينة .

وكانت القصائد في الاعم الاغلب تقليدية متهافتة مـــع فوضى في التعبير ، والصيغ الجاهزة والقوالب المحفوظة ، والبعد عن الاساليب الانسانية ، والسير في الدروب المطروقة ، وعدم التجديد والابتكار ، وتوافر الوحدة العضوية في بنائها ، وانسياقها الى محاكاة القدامى الذين تستحوذ على اشعارهم التعابير المتوارثة جيلا بعد جيل ، حتى بات تيار الشعـــر المهجري يشتد ويتسع نطاقه ، واثبت ان كيانه الخالـــد اقوى من ان تمسه يد الشر والسوء .

بغداد　　　　　خضر عباس الصالحي

سمـــــــراء

محي الدين فارس

القـــاهرة

السابح المتهدل
سكران من لهب الهوى متململ
اكل الضلوع ولم يزل يمشي على حدق الجراح وينزل
نقر الوشاح كانه طير على جنحِ المغارب ارمل
والحلمتان جزيرتان بحفهن المأمل
والعاشق المتبتل
حيران يخفق فى الضلوع ويسأل
وانا على الدرب الطويل الم اشلاء الجراح واغسل
والاحمر المنساب ظمآن المشاتل اعزل
ثوب نسيج خيوطه الانسام شفاف كاجنحة الفراش مهلل
من خلفه الابنوس تسأله العيون فيبخل
ويروح خجلان المفاتن فى ستائره الانيقة يدخل
وانا وجود صامت لكن قلبي فى عوالمه الخفية يرحل
ويدق باب المستحيل كانه طيف على درب الدجى متسول
سمراء ما زالت عيوني خلف خلف ستارة تتنقل
ترد السراب وتنهل
والليل زنديق الملامح اليـل
ورياحه الهوجاء فى قلب الجزيرة تسعل
فاذا نسيت لقاءنا والعشب كان وسادة تتململ
فانا عن الحب القديم حبيبتي السمراء لا أتحول
فتبدلي ما شئت ... انت على صحاراي الجديبة جدول
كم ذا التقينا والظلال على طريق غرامنا تتكتل
والحب، والاشواق، والدنيا الجميلة، واللقاء الاول
والليل ... ألف ستارة سدلت والف كمنجة تتغزل
وتروح ترمقنا النجوم من الكوى الغيمية البيضاء آونة
واخرى تنزل
غير انة الاشواق ... لا تتحمل
وتظل تنهل وشوشات حديثنا وترتل
وشريط اضواء تسلق فى الغصون وكانه يتأمل
وانا كما شاء الغرام صبابة حمراء لا تتمهل
احكي لك الحب العميق وانتزنبقة يداعبها النسيم فتخجل
سمراء ما زالت عيوني خلف ... خلف ستارة تتنقل
ترد السراب .. وتنهل ..
فاذا نسيت لقاءنا والعشب كان وسادة تتململ
فتبدلي ما شئت انت على صحاراي الجديبة جدول
وانا عن الحب القديم حبيبتي السمراء لا اتحول .

اليتيم

بقلم احمد عابدين

كنت في السادسة عندما دخلت المدرسة لاول مرة . وكنت سعيدا قبل دخولي اياها لاني لم اذق طعم العصا قبل ذلك .. ولكن عزائي الوحيد في تلك المصيبة ان صديقي اسعد ، وهو ابن جيراننا، قد دخل المدرسة معي . كان اسعد في مثل سني وكنا دائما نقضي اوقاتنا نلعب بكرة نصنعها من الخرق البالية او نلعب مع اولاد الحارة ابة العاب ساذجة اخرى . ولم تكن نفترق الا عند اقتراب الليل وعندما تدعوني امي الى البيت فيذهب أسعد الى بيته او يبقى مع احد الاولاد . كان اسعد يتيما فقد توفيت امه عندما كان عمره عدة اشهر كما اخبروه .. وقد اعتنت به اول الامر عمته التي تزوجت فيما بعد .. وبقي اسعد مع ابيه وزوجته الجديدة . ولم تكن زوجة أبيه تهتم به حتى كان دائما متسخ الثياب حافي القدمين .. وكانت زوجة ابيه تذيقه مر العذاب على اقل هفوة .. اما اذا غاب طول النهار عن البيت .. فليس هناك من يسال عنه . اما ابوه فكان ايضا نقمة اخرى عليه اذ كان يضربه كثيرا امامنا في الحارة أو في البيت اذا قالت له زوجته ان اسعد لم ينفذ تعليماتها.

فلما دخلنا المدرسة .. كان اسعد اشدنا فرحا بها اذ كان يجد وقتا لا يسمع فيه تعنيفا من زوجة ابيه ولا ضربا من ابيه . وكنا بعد العودة من المدرسة نجتمع في الحارة ونبقى نلعب حتى تغرب الشمس فتظهر امهاتنا على ابواب البيوت تدعو كل واحدة ابنها ليعود الى البيت .. ويبدأ عددنا بالتناقص .. اما اسعد فلم يكن يدعوه احد فكان يبقى مع اخر شخص من الزمرة .. ثم يهرول الى البيت وسمات الذل واليتم تبدو جلية على وجهه . وكثيراً ما كنت اخذه معي الى البيت حيث كانت امي تقدم له بعض الاكل او الحلوى وهي تمصمص بشفتيها .. وتقول : « أين امك الان لتراك .. الله يلعن اولاد الحرام » .. فكان اسعد يبكي في صمت واجاريه انا فابكي معه على امه ..

وتمر الايام ونحن نذهب كل يوم الى المدرسة .. وكانت بعيدة عن حارتنا فكنا نأخذ غداءنا معنا وهو في معظم الاحيان لا يتعدى قطعة من الجبن أو بيضة مسلوقة مع نصف رغيف . واحيانا كان اسعد يأخذ من ابيه نصف قرش يشتري به بعض « الفلافل » يتغداه مع قطعة الخبز . وكنا نتناول وجبة الغداء تحت الاشجار الكثيرة التي تحيط بالمدرسة. وكانت مدرستنا تقع في حي من احياء المدينة الراقية تنتشر حولها كثير من البيوت ذات الحدائق الغناء. وكان هناك احد البيوت التي تبعد قليلا عن المدرسة .. وحول ذلك البيت يوجد سور حجري تطل من أعلاه شجرة اللوز فتلقي ظلها على خارج السور .. واتخذنا من ذلك الظل مكانا نجلس فيه بعد الغداء .. فلما اثمرت تلك الشجرة بدأ الاولاد يقذفون الحجارة لاسقاط ثمرها الاخضر الطري .. وكنت انا واسعد اشد اعداء هذه الشجرة نقذفها كل يوم بالحجارة ونجد لذة كبيرة في التهام ثمارها الخضراء ..

وفي احد الايام وبينما كنت انا واسعد نقذف الحجارة لاسقاط حبات اللوز .. اطلت علينا من قرب الشجرة امراة في حوالي الثلاثين من العمر . وما كدنا نلمحها حتى ولينا الادبار .. ولكنها دعتنا قائلة : تعالا هنا لا تخافا .. وكان صوتها رخيما لم يخالطه الغضب .. بل انه مفعم بحنان غريب .. واعتقدنا اول الامر انها ستعاقبنا .. او على الاقل ستشكونا الى مدير المدرسة . فلما سمعنا صوتها .. اقتربنا منها قليلا قليلا .. ولما اصبحنا تحتها تماما تحدثت الينا وقالت هل تريدان لوزا .. اذن لا تقذفا الحجارة .. تعالا من الباب وانا اعطيكما لوزا .. ودرنا عدة امتار في اتجاه باب البيت ونحن لا نصدق ان ما تقوله صحيحا اذ كنا نعتقد انها قد نصبت لنا فخا .. واخيرا وصلنا الباب فوجدناها تنتظر هناك .. فمشينا اليها بخطى متثاقلة .. ولما وصلنا اليها اعطت كل واحد منا حفنة من اللوز .. وهي تبتسم لنا دون أن تعاقبنا كما توقعنا.

ثم سألت أسعد عن اسمه . فقال: اسعد حلمي . فخيل الي ان وجهها قد غطته سحابة من لون شاحب . وسألتني عن اسمي فاخبرتها . ثم بدات تسألنا اسئلة مختلفة عن حارتنا وخصوصا عن اسعد وابيه وزوجة ابيه . واستغربت انها تعرف كثيرا عن حارتنا . ولما سالت عن امه .. طاطا راسه الى الارض وكاد يبكي . فاجبت عنه ان امه ماتت وهو طفل صغير .. فقالت المراة : انني اعرف امك يا اسعد فقد كنت اسكن في حارتكم عندما ولدت انت .. واقتربت من اسعد حتى كاد صدرها يلامس شعر راسه . ثم قالت لنا اذهبا الان الى المدرسة .. وتعالا غدا وقت الغداء عندي لاعطيكما اللوز .. ولكن لا تقولا لاي شخص انكما حضرتما هنا .. فودعناها وعدنا الى المدرسة واسئلة ساذجة تتردد على السنتنا .. ونظرت الى أسعد ... فقال : اذا كنا سناخذ لوزا بالحلال فلا مانع من ان نحضر هنا كل يوم ..

قصة

خصب

شـاقهـا الانطـلاق ،
فراحت تدور حول خطوط عرض الكرة
حيث الحياة انتفاضة بلهـاء
يلوكها التقاء خطوط العرض والطول
في اجترار واحة وهمية .
وفي عثرة جنـح
تراءى افق لكون جديد
يبـدع انفا لمخلوق غريب .

دمشق — اورخان ميسر

وفي اليوم التالي ما كاد جرس حصة الغداء يقرع حتى كنا في طريقنا الى بيت اللوز .. ورأينا المراة تنتظرنـا على باب البيت .. واستقبلتنـا بترحاب وكان كل همها منصبا على اسعد فقد فتحت ذراعيها وضمته بينهما ثم انحنت وقبلت راسه قبلة خاطفة ورايت دمعة تنحدر من عينيها على خدها .. ولما راتني اكـاد ان اسالها لماذا تبكي .. قالت .. كان لي ولد في عمر اسعد وقد اختفى منذ مدة طويلة وهو يشبه أسعد كثيرا .. ودخلنا الى بيتها حيث وجدنا مائدة عامرة باكل لا نعرفه في بيوتنا الفقيرة .. وكانت طيلة وقت الاكل وعيناها مركزتان على اسعد تكاد تلتهمـه بنظراتها وفي عينيها حنان عميق جدا .. وبعد الاكل قدمت لنا كثيرا من الفاكهة . .واجلست اسعد في حضنها وهي تحضنه وتقبله .. وهو كالحمل الوديع .. وقد شعرت ان اسعد كان يحبها اذ بدا ذلك جليا على قسمات وجهه الصغير .. وسالتها عن اسمها . فقالت ـ يمكنكما ان تدعواني « ماما » .. واعدنا الكرة على بيت « ماما » فكنا نذهب كل يوم الى بيتها فناكل ونلعب دون ان يدري احد بنا .. وعرفنا يوما زوجها وكان رجلا طيبا .. فكان يجلس معي طيلة الوقت الذي يقضيه اسعد معها وكـان يسالني عن دروسي ..

وتغير اسعد تغيرا كامـلا .. اصبح مرفوع الراس .. مـورد الخدين .. وصار لا يحب يوم العطلة الاسبوعية لانه لا يرى « ماما » . واصبح يحب ماما كثيرا حتى انه كان وهو في بيتها في بعض الاحيـان يقول « ماما » فتجيبه : نعم يا روحي .. فيسكت دون ان يقول شيئا بل يعود ليكرر كلمة « ماما » وكانه يشعر بنشوة عند نطق هذا الاسم . وطلبت منا يوما ان نحضر يوم العطلة الاسبوعية .. فترددنا اول الامر ثم قال اسعد انه مستعد للحضور اذا اتيت معه .. ولكني كنت اخشى ان احضر دون ان اخبر امي .. ويوم الجمعة قلـت لامي باني ساذهب مع بعض الطلاب في رحلة .. وذهبنا الى بيتها فوجدناها في انتظارنا لتاخذ اسعد بين احضانها تمطره وابلا من قبلاتها .. ووجدنـا لديها في الحديقـة كثيرا من الالعـاب كالسيارات الصغيـرة ودراجة .. وقطارا يسير على سكة حديد دائرية .. وقضينا يوما من أسعد ايـام طفولتنا ونحن المحرومون من هـذه الالعاب التي يتمتع بها ابناء الاغنياء .. وفي اليوم التالي اخبرني اسعد ان اباه ساله اين كان يوم الجمعـة وان اسعد اخبره بانه كان في رحلة مع بعض الطلبة .. وكان غريبا ان يسال ابو اسعد ابنه اين كان وهو الذي لم يهتم به ابدا ..

وفي العطلة التالية ذهبنا الى بيت « ماما » وجلسنا في الحديقة بين الالعاب وعيناها لا تفارقان اسـعد وكانها تود ان تدخله بين اضلاعها .. وفجاة فتح باب الحديقة ودخل رجل طويل القامة ارتسم الغضب علـى وجهه وكان يعدو كالعاصفة .. وما كاد يقترب منا حتى تجمد الدم في عروقي .. لقد كان ابو اسعد .. اما اسعد فقد ارتمى بين احضان المراة التي احتضنته وقد اصبحت كاللبوة تدافع عن شبلها . .ولكن ابا اسعد امسك بذراع ابنه الصغيرة وقـال مخاطبا المراة : اتركي ابني يا ساقطة .. منذ متى وانت تسرقينه .. انـه لم يعرف له اما .. ان امه ماتت منذ زمن بعيد . واجابت المراة ووجههـا ينطق باللوعة : انه ولدي .. لن اتركه ابدا .. لن اتركه لامـراة اخرى لا ترفق به .. انه لا يعرف الى اليوم اني امه الحقيقية .. ولكنه ولـدي ولدي . .وفي هذه اللحظة كان اسعد يصرخ ووجهه في صدر المراة .. ثم افلتته المراة ورايتها تجثو علـى ركبتيها فتمسك بساق ابي اسعـد ودموعها تهطل على خديها وهـي تستعطف الرجل الشرس ان يدع لها ولدها ولكنه قال لها : انك لم تحافظي على شرفك يوم كان لك هذا الولد .. اما الان فلن تريه بعـد اليوم .. واستمرت المراة تذرف الدموع حتى لاحظت ان يد الرجل قد ارتخت عن معصم اسعد وقد تاثر بدموع المراة وولدها وترك اسعد واتجه الي قائلا : هيا يا فؤاد .. فخرجت معه وانـا التفت خلفي الى اسعد وامه .. وان كنت ادور في دوامة من الحيرة وعدم الفهم عما دار في تلك الدقائق .. بينما كانت غصة تتجمع في حلقي وتتحول الى دموع بدات تسح على خدي ..

شيء واحد تغير في مجرى حياتي .. اصبحت اذهب كل يوم الـى المدرسة وحدي لان اسعد كان يحضر من بيته القريب من المدرسة ...

الظهران — احمد عابدين

السؤال الحائر

مهداة الى روح والدي الفقيد خليل مردم بك

ابين عن شكوى ومن ادمعي ... ما رحت احكيه وما ادعي
واسال الظلماء عن راحل ... ذكراه فى قلبي وفي اضلعي
اغص بالذكرى ويا طالما ... اتيت من ذكراي بالمبدع
واجحد الماضي وكم دونه ... من مربع حلو ومن مشرع
والقلب لولا ذكريات الصبا ... لم يات بالسحر ولم يبدع
وحاضر المرء الى غابر ... يرد والقطر الى منبع

اسائل الليل وكم وقفة ... لي دونه اورت ولم تنقع
اطيل اوجاعي بلا طائل ... بما امني القلب من مطمع
وكيف ابغي من فقيد مضى ... على اختلاف الدار من مرجع
هيهات ما أبغيه من مطمع ... ودونه ما شف من بلقع
اقلب الطرف على زاخر ... من قتم جاش ولم يهمع
سواده يعصف متشربا ... فى واسع داج الى اوسع

واسال النجم أمن مخبر ... عن راحل غاب ولم يرجع
وهل سلا النازح أحبابه ... فشط عن اهل وعن مرتع
عهدي به لم تك فى مضجع ... عين له تغمض عن موجع
يظل من شوق الى اهله ... لا يستطيب الغمض في مهجع
وقلبه الحصن لاحبابه ... فى حالك شف وفى زعزع
بيانه وقف على امة ... وشوقه وقف على مربع

وان اتيت الريح مستطلعا ... ما عندها صدت ولم تطلع
الحف من وجد وان لم يبن ... لسان نطقي اعربت ادمعي
ودون ما الحف مستطلعا ... كم من دجى ليل ومن برقع
اسائل الريح بلا طائل ... يرجى ولا يدفع من مصرع
ما كان عند الريح عن نازح ... من خبر يرقأ من مدمعي
رعناء لا تصغي الى موجع ... افضى باشجان وليست تعي

مالي اطيل البحث فى غامض ... يطيش فيه الغر والالمعي
ولا اني ابحث متوضحا ... هل فى اياب الروح من مطمع
ودون ما اسعى الى سبره ... من مفجع يؤذي ومن مفزع
مرد الحافي الى حيرة ... نغض فى الظلماء من مضجعي
علام لا اقصر مستوضحا ... عن راحل غاب ولم يرجع
وطيفه يمثل في خاطري ... وذكره فى القلب والاضلع

دمشق

عدنان مردم بك

فتـى الخيل قـد بـل النجيـع نحورهـا | يطاعـن فـي ضنـك المقـام عصيب
يعـاف خيـام الربـط فـي غزواتـه | فمـا خيمـة الاغبـار حـروب

المتنبي يرسم النموذج البطولي للفتى العربي

بقلم عادل الهاشمي

لقد قضينا في المقالين الماضيين ساعات حافلة بضروب انباء البطولة ومثلها وقيمها ، التي ابرزتها باحية تتحرك ريشة المتنبي في «البطولة المتفجرة في اهاب شاعر» و «قيم البطولة عند المتنبي» ولمسنا كيف لونت روح ابي الطيب المذخورة بالقوة النابضة بالبطولة هذا الشعر البطولي بلونها المتميز المتفرد ـ فجاء نسيج وحده في تجلية سجايا البطولة وقيمها ، وتشخيصها حية في الواقع الراهن ، خالدة على مدى الايام.

وقبل دخولنا الى عالم المتنبي في موضوعنا الجديد ، لاباس ان نقدم لذلك بكلمة تدلل على حيوية الموضوع وخطره، تتلامح خطوطه من خلال شعر المتنبي فنلمس ان تربية الجيل الصاعد ، وحسن تنشئته تشغل اهتمام كل مجتمع يبغي النهوض ويختط منهجه قبل المسير . وقد اخذت الاسرة وهي الخلية الاولى في بنيان المجتمع ، ومحضن الانتاج البشري ، ومصنع الناشئة وتكوينهم ، على عاتقها تنمية شخصية الناشئة من افرادها ، وتفتيح كامن الاستعدادات والقابليات والميول الفطرية فيهم . كما عكف جهابذة علم النفس على دراسة الشخصية ، واستقراء احوالها ، وتحليل عوامل تكوينها ، فالفوها : « الوحدة الكلية المميزة لبنيان فرد ، وطرق سلوكه ، وانواع اهتماماته وقدراته ، وقابلياته ومواهبه » . ووجدوا ان تنمية الشخصية واذكاء امكانياتها وقابلياتها وحيويتها ، انما يكون بتفتيح الميل الى توكيد الذات . ويعتقد العالم « ادلر » « ان الرغبة في التفوق هو الميل الاساسي الذي تدور حوله الحياة النفسية ، وهو بالنسبة للاشخاص الاسوياء في المجتمع اقوى حتى من الرغبة الجنسية » ـ حتى ان الطفل اذا ماطفق ينمو وتتقدم به السن تعلم ان ارضاء حاجاته رهن بتوكيد ذاته .

من هنا تتجلى اهمية تنمية الشخصية وتفتيح قابليات النموذج الفرد في مجتمعاتنا . وهذا ما عالجه ـ فكرنا العربي منذ عشرة قرون ، وبخاصة عن طريق الادب الذي كان وما يزال له وقع السحر في النفوس . لذا نتطلق في موضوعنا هذا الى ما ابدعته ريشة المتنبي الخلاقة في عرض المثل الاعلى ، والنموذج البطولي للفتى العربي .

ومن سوى ابي الطيب المتنبي وامثاله ممن ارتفعت عندهم حرارة النفس الشعري ، وتوهجت في اعماق نفوسهم روح البطولة ، فامتزجوا بها ، فكانت تعطي منهم وتاخذ ! نعم ، من سوى ابي الطيب يقدم لنا النموذج الخالد للفتى الباسل ؟

والمتنبي حين تضطرب في حنايا نفسه سمات البطل المجلي ، فيرسلها في لحن قريضه مثلا اعلى لبطولة الفتى العربي ، انما يقبس من معين حياة عصر وبيئة اخذت على عاتقها ، صيانة الحدود العربية من استفزازات وتعديات الدولة البيزنطية حينا ، ومهاجمتها في عقر دارها تاديبا لها في بعض الاحيان .

وقد حمل سيف الدولة ، الامير الشاب في بلاد الشام الشمالية في القرن الهجري على عاتقه هذا العبء الجليل ، فكانت معاركه مع الروم سفرا ضخما من البطولة العربية . ولعله من حسن طالع الادب العربي الا تمر هذه البطولات الخالدة التي فجرها اميرنا الشاب ، والحروب الضاربة التي خاضها مع الروم بددا ، فقيض الله لها شاعرا ينشد احداثها شعرا خالدا . ! فمن قعقعة السلاح ، وضجيج الخيل ، وزمازم الفرسان نغماته واوزانه . ومن قتام الغبار ووميض الشفار ، والتماع المشرفية اصباغه والوانه . ومن قوة الشكيمة وعزمات الابطال ، وثبات الجنان عواطفه واشجانه . شعر نبت من ساحة الحرب فكانت مادته ومعناه .

وان كنا لا نزعم ان المتنبي لزم سيف الدولة طيلة حياته، وانما كانت اجواء ابي الطيب اكثر سعة وبيئاته اغزر عددا. ولكن لا يختلف اثنان بان التقاء الشاعر البطل بالامير البطل كانت الفترة الذهبية في حياة المتنبي . فقد كان يغرف فيها من معين البطولة مادة تنفد ويشهد من المعارك الضاربة ما يلهمه اروع ما فاض به شعوره من فن القول ، بعد ان بلغ شعره مرحلة المتانة والقوة والنضوج .

والمتنبي حين تتلامح في خلده صورة الفتى العربي الباسل ، لا تلبث ان تجد مخيلته بغيتها في الامير الشاب سيف الدولة الذي نذر نفسه للجهاد ، ووقف حياته على

● راجع الاديب عدد فبراير صفحة ٢٥

غزو الروم وصيانة الثغور فيخاطبه قائلا :

انت طول الحياة للروم غاز   فمتى الوعد ان يكون القفول ؟

وهو عند المتنبي بطل الابطال شجاعة وبسالة ، واحزم الشجعان ضربا وطعنا بشهادة ابطال الساح ، وفرسان الثغور .

والطعن من مس خطية   والضرب من بحسام عضب
بذا اللفظ ناداك اهل الثغور   فلبيت والهام تحت القضب

وانه ليباده الاحداث ، ويهجم على الامور هجمة المغوار بالرماح والخيل والابل فتلقي اليه قلاذها . كيف لا ، وزند عزيمة تتفجر ، وهمة عالية سامقة تقف منها اعالي الكواكب موقف المتواضع ، اذ ليس لها من سمو عزماته وسموقها نصيب .

مثل الامير بغى امرا تقربه   طول الرماح وايدي الخيل والابل
وعزمة بعثتها همة ، زحل   من تحتها بمكان الترب من زحل

وهو رده الدولة وفتاها ، وسيفها وحماها ، بل هو الذي نفخ فيها روح البطولة فانتسبت بفضله قوية عزيزة .

ترب غلام علم المجد نفسه   كتعلم سيف الدولة الدولة الضربا
اذا الدولة استكفت به في ملمة   كفاها فكان السيف والكف والقلبا

ما الناس جميعا قد قعدت بهم هممهم دون المسلك الوعر الذي رقاه سلما للمجد والمنى ؟ ان طريق المجد دائما محفوف بالاشواك ، مزروع بالمنايا ، يشفق منه من عرف الامارة مجلس شراب ولهو ودعة . . . اما سيف الدولة الذي عرف الطريق منايا تدار في خضم المعترك المضطرب ؛ فلقد طرقت له ابواب المجد نصوله وقناه .

تعد الناس كلهم عن مساعيك   وقامت بها القنا والنصول
ما الذي عنده تدار المنايا   كالذي عنده تدار الشمول

في مجالس ومعارك هذا الامير الباسل انشد المتنبي جل شعره البطولي ، وكان وفيا له محبا ، تتراءى له صفات الفارس البطل والفتى المقدام من خلال عزماته ، وضروب بطولته ، وسامي سجاياه .

وانا اذ نقطف من ديوان شاعرنا ما انشده متناثرا في خلال الفتى الباسل ، مكونين من ذلك الصورة المؤتلفة لسمات البطولة الخارقة التي تحلى بها ، فانما نرمي الى ابراز المثل الاعلى البطولي للفتى العربي في شعر المتنبي . مجردا عن الشخوص والمناسبات والملابسات .

ترى ما هي المقومات التي خلقت من فتانا العربي بطلا ؟ وما هو الثمن الذي بذله عربونا لهذه البطولة ؟ اولى هذه المقومات : نشأة في احضان القوة والمنعة ، وتطبع بسمات البطولة الحقة .

فان كانت بطولة الاجداد تنفخ الروح في الاحفاد ، فالبطولة كذلك اكتساب وتنشئة وعزيمة لدنية تنبع من صميم النفس .

تشنى علته نفسه وجدوده   قراع الاعادي وابتذال الرغائب

وان اخلد الناس الى البيوت يقطعون الوقت في تافه الامور ، فمجلس الفتى المحبب ، وهوايته الممتعة اعتلاء صهوة الجواد ، والركض به الى المنى . .

اتخذوا المجالس في البيوت وعنده   ان السروج مجالس الفتيان

كل انسان نشأ على سجايا وخصال هي جزء من مقومات شخصيته ، فهو بها يعرف ويوصف . ترى ما هي عادات فتانا وسجاياه ؟ انها تتراءى لنا سمات الفتى المنفردة وخصائصه المميزة : خوض المعامع ، والطعن في نحور الاعداء .

لكل امرىء من دهره ما تعودا   وعادة سيف الدولة الطعن في العدى

والفتى من تفجرت عزيمته بالعزة التي تعاف الهوان ، وتمهر الكرامة بأغلى الاثمان .

غير ان الفتى يلاقي المنايا   كالحات ولا يلاقي الهوانا

وكان التطبع بسمات البطولة ، والتنشوء في احضانها غرس في نفوس الفتيان البواسل حب الموت ، والاندفاع اليه اندفاع الظامىء الى المورد العذب لذا فهم يخالون رماح الخط ريحان هذا المورد ، ينشقون ريحه ارجا وعطرا . .

كأنهم يردون الموت من ظمأ   وينشقون من الخطي ريحانا

وتابى نفس الفتى الا التعالي والتميز ، فليس صاحبها قمينا بها الا اذا بذ الجميع سبقا وفضلا ، وليس حقيقا بحياتها اذا لم يقدمها يوم الروع ، للعزة والكرامة ، قربانا وفدى .

كان نفسك لا ترضاك صاحبها   الا وانت على المفضال مفضال
ولا تعدك صوانا لمهجتها   الا وانت لها في الروع بذال

وثاني مقومات فتانا الباسل : عزيمة تقدح زناد القوى ، وتفجر الطاقات المذخورة قوة وبطولة . عزيمة فتوة ، وفتوة عزيمة ، تستسهل كل صعب ، وتذلل كل وعر ، وتديس العقبات والرزايا ظهر المجن ، فكثيرها ازاء عزمات الفتيان قليل ، وعسيرها ازاء همم الابطال يسير !

وانا لنلقى الحادثات بانفس   كثير الرزايا عندهن قليل

هذه روح الفتى تلقى الاعباء ببسمة واثقة بالظفر ، وهمة لا تعجزها الشدائد ، ولا يغلها نفاذ المدة والعدد ؛ فلان تعيا وتكل خيوله في درب العدو فهمته القعساء كفيلة بقذفه على العدو يبلي فيه احسن البلاء . .

لو كلت الخيل حتى لا تحمله   تحملته الى اعدائه الهمم

وما المستحيل في جنب عزيمة الفتى ، وحيويته المتفجرة التي لا تعرف للونى والنكوص دون الامل المرجو معنى ؟ فبلوغ صعاب الامور هدف الفتى ، ونشوة نفسه ، وبتذليل العقبات انس فؤاده ، وانشراح صدره . هب قرن الشمس تفجر بالماء موردا ، اذا لرقاه الفتى واوردا !

وصول الى المستصعبات بخيله   فلو كان قرن الشمس ماء لاوردا

وتطالع عزيمة الفتى السامقة مجالي المعالي والمنى ، فتسعى اليها مكتسية برد العجاج ، خائضة غمار القتام . فما صفاء حياة فتانا البطل الا في جو تغبره الهبوات السود ويجلله مثار النقع فوق الرؤوس .

لبست لها كدر العجاج ، كانما   ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا

وثالث مقومات بطولة فتانا المجلي ، نفس كبيرة ، رفيعة متعالية ، مترفعة عن الدنايا . انها القوة والمقدرة المستطيعة يجملها الحلم ، ويزينها النبل . ولكنه حلم في غير ضعف ، ونبل في غير استكانة فاذا ما جد الجد ، وحزب الامر كانت

القوة القاهرة التي تنقضي الحلم مرهفا ومهندا . انه الحلم ينساب من معين القوة ، فاجمل به من حلم ، واحبب به من خلق كريم !

رأيتك محض الحلم في محض قدرة   ولو شئت كان الحلم منك المهندا

وكما تتعالى نفس فتانا البطل عن البطش والفتك ؛ متجملة بخلق الحلم الكريم ، تانف نفسه المترفقة من اقتراف كل اسفاف ودناءة . انه النبل والشمم يتجلى في ثياب العفة المصون .

ونفس لا تجيب الى خبيء   وعين لا تدار على نظير

هي النفس صهرتها نيران الحروب فطهرتها من اوشاب الحياة وجرائرها وفحشائها . وكانت الحرب لهما شرابا وغسلا !

لا ان يكون هكذا مقالي   فتى بنيران الحروب صالي
منها شرابي وبها اغتسالي   لا تخطر الفحشاء لي ببالي

ورابع المقومات التي تفجر ينابيع القوة في فتانا الباسل ، شجاعة لا حدود لها ، وبسالة منقطعة النظير تطالعك بالعجب العجائب ، وتنقلك بين ميادين البطولة يرتع فيها فتانا بطل الساح من ميدان الى ميدان . انه فتى تفرد بسمات الشجاعة فجمعها من اطرافها وحازها من اقطارها، يعرف بهذه السمات ويدعى .

فهو الفتى الكريم النجيب ، حباه الله قامة مستقيمة ؛ وقواما ممشوقا كالرمح المشرع المنتصب تنهب به العيس الفلاة ، وتلقي به الخيل في جوف المعركة ، حيث صدمات الابطال ، وعراك الاسود ، وهنا ساحه ومناه .

واهوى من الفتيان كل سميدع   نجيب ، كصدر السمهري المقوم
خطت تحته العيس الفلاة وخالطت   به الخيل كبات الخميس العرمرم

وهو البطل الرئبال الهمام ، متى جاشت غوارب العزائم في نفسه واضطرمت ، لم تجد لها منصرفا ومنفذا الا في خضم المعركة ، حيث المنايا ماحقة ، حالكة ، شديدة الوطء

همام اذا هم امضى همومه   بأرعن وطء الموت فيه ثقيل

وفي معمعان الوغى ، وقد حمي الوطيس ، واربد الافق بما استطار من النقع وتكاثف ، فجلل ساحة المعركة فما ينشق الفارس المتلثم الا غبارا وعجاجا ، يحرق الحلوق واللهوات ، يقف فتانا لم يغادره ثبات جاشه ، وسكون اعصابه ، فلم تطرف له عين ،ولم يهتز له ، ابان الاهوال المجلجلة ، بصر .

شديد ثبات الطرف والنقع واصل   الى لهوات الفارس المتلثم

هو اسد غضنفر ، فاتك بالاسود الكواسر ، فمن نجيعها خضابه وصبغ اهابه ، هو موت هابط على كل عدو ، بل ان فرائص الموت لترتعد منه فرقا ، وترتجف منه جزعا :

اسد ، دم الاسد الهزبر خضابه   موت ، فريص الموت منه ترعد

هذا فتانا الباسل : ما كان له ، وهذه آيات بطولته ؛ وسمات بسالته ، ان ينشد الراحة والنشاط الا في ظلال القنا والسيوف .. ان الدعة ووثير الفراش يسقمه ، ويبث جسمه الامراض والعلل . اما خوض المعامع والمعارك فجمامه وراحته ، وابلاله وحيويته .

ملت مقام يوم وليس فيه   طعان صادق ودم صبيب
وانت المرء تمرضه الحشايا   لهمته وتشفيه الحروب

هكذا الفينا فتانا البطل : قوي الجسم ، هماما ، رابض الجاش ، اسدا ، وللاعداء منية وموتا ، تشفيه الحروب وتنعشه .

هل لنا بعد هذا ان نرافقه في معاركه ، نشاركه مواقعه ؛ ونشهد عن قرب عراكه وصدماته وحسن بلائه فنعيش أحداث فتانا بطولة شاخصة ماثلة .

هذه احدى معاركه الضارية العنيفة ، نلمح فتانا فيها فارس المعركة المجلي ، يسكب دماء الابطال سخينة على نحور الخيل هنا وهناك . يطاعن الكماة لا يبالي ، بهمة لا يفلها هول المقام واستشراء الضراب . وما ذلك بدعا في همته فهو الذي يلزم المعارك لا يبرحها . قد عاف خيام الحرير كراهية للراحة والركود ليتخذ من غبار الحروب المضمخ بالبطولة مضاربا وخياما .

فتى الخيل، قد بل النجيع نحورها   يطاعن في ضنك المقام عصيب
يعاف خيام الريط في غزواته   فما خيمة الا غبار حروب

وفي نموذج ثان لمعارك فتانا البطل ، تمتد امامنا رقعة المعركة وتتسع ساحاتها وتتعدد . ها هو فتانا يغير برماحه وكأن قد طويت امامه الابعاد وتقاربت دونه المسافات ، وقد التمع الجو بحمرة قانية جللت هام الرماح . يخالها الرائي؛ وقد ابدعت ريشة الشاعر تصويرها ـ انتفضت شاخصة حية قد دب في اوصالها الحنان تبكي دما اخوات لها اندقت وتهشمت على صخرة الحرب . وان قصة الرماح هذه لتحكي قصة معركة بما فيها من طعان وضراب ، وانها لتمحض الذكرى ، مثيرة اشجاب البطل حبيب السلاح وحب المعارك ! لذا يشفق شاعرنا ان تبلغ القصة اسماع بطلنا فيخالجه الشوق ويسارع الى الحرب .

يغير بها بين اللقان وواسط   ويركزها بين الفرات وجلق
ويرجعها حمرا كأن صحيحها   يبكي دما من رحمة المتدقق
فلا تبلغاه ما اقول فانه   شجاع متى يذكر له الطعن يشتق

اما النموذج الاخير الذي نعيشه مع معارك فتانا البطل فبدع في تاريخ خوض المعارك ! فتانا البطل يقف في ساح المعركة ، لا مكترثا ولا مباليا ، وغمرات الموت وجيوش المنايا تجرف كل واقف ، ولكنها عن فتانا ساهمة شاردة حائلة .

ترى هل يعز عليها احترام منية الابطال ؟

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم

فرائص الابطال ترتعد في حلبة المعركة ، مكلومة مهزومة، والمنايا حائمة ، والهول ساحق . وتتالق وسط هذه الاهوال العاصفة طلعة فتانا تفتر عن ابتسامة الثقة بالمصير ، والنصر المظفر ، لقد بذل الثمن فتحقق الفتح والغلب .

تمر بك الابطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم
ومن طلب الفتح الجليل فانما   مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

وخامس المقومات التي تتوج سمات بطولة فتانا الباسل، تتجلى ذروة لهرم البطولة ، وقمة لها وغاية ومحصلة . الا وهي : الطموح البطولي الى المجد المقتسر .

فما كان تمني المعالي ورجاء رقيها وسيلته وذريعته ،

وانما الاماني تخر طوع ارادته .

تسي الاماني صرعى دون مبلغه   فما يقول لشيء، ليت ذلك لـي

والمجد قمة باذخة شامخة ، لا يسمو اليها ، ويرقى عرشها الا السيد البطل والفتى المقدام الذي يمهر الثمن غاليا ، يكافيء المجد المروم ، ويغشى المخاطر ، يشفق من هولها الابطال . فما المجد أرثا هينا غض المكاسر تدنو قطافه جنية دون تعب ، فما يدري وارثه قيمته ، ولا يدرك خطره . وانما ينتزع المجد ويقتسر من يملي ارادته بحد الصارم الصمصام .

لا يدرك المجد الا سيد بطل   لما يشق على السادات فعال

لا وارث جهلت يمناه ما كسبت   ولا كسوب بغير السيف سال

وفتانا المقدام من صنف جديد . ما تبوأ سدة الملك والسلطان بالتمني ، بل اقتحم في سبيل ذلك الاهوال الحاطمة . والشدائد العظام التي تدير الرؤوس ، وتشيب النواصي .

وان خال اعداؤه أن طريق ادراك المعالي بالسعي لهـ : والعمل . فطريقه دائما متميز ، متفرد لا يشبه طريق سواه . وانه سبيل التفوق ، سبيل التحليق والرقي في اجواز السماء حيث يعرج الممتازون من البشر ، يقتطفون جنى الامال مجدا وعزة وخلودا .

وما كنت ممن ادرك الملك بالمنى   ولكن بايام اشبن النواصيا

عداك تراها في البلاد مساعيا   وانت تراها في السماء مراقيا !

هكذا تكتمل لنا سمات الفتى الباسل ، ونموذج البطولة الفتية ، مجتناة من شعر المتنبي المدوي بهدير البطولة ، المجلجل باقوى العزائم والبواعث .

هذه السمات البطولية النابعة من وجدان شاعرنا البطل ، وحياة سادته البواسل الغضافر كسيف الدولة وابي العشائر الحمدانيين ، لترسم لنا مثلا أعلى لبطولة الفتى العربي قد تجلت لنا في : تنشئة الفتوة في احضان القوة ، والتطبع والتجمل بسمات البطولة الحقة . زادها عزيمة تقدح زناد القوى وتفجر الطاقات المذخورة بكل فذ هائل جبار . زينتها وجمالها ترفع عن الدنايا وسمو وارتفاع بالنفس الى مراقي النبل والحلم والعفة والشمم ، سبيلها شجاعة متفردة ببسالتها تطالعك بالعجب العجاب ، وتنقلك في ميادين البطولة من ميدان الى ميدان .. اما غايتها وذروة مدرج بطولتها فاقتسار المجد واغتصاب الاماني والطموح الجموح الذي لا يعرف للمستحيل معنى .

من هذه السمات الشامخة في عالم البطولة تنتفض شخصية فتانا الباسل شاخصة ، تمرح في خيال كل طماح الى القوة والعزة والخلود . وما احرانا اليوم ونحن في عصر لا تهدأ فيه اعاصير الحروب الماكرة من دول تطمع في ثرواتنا وامكانياتنا ، ان يستلهم شبابنا وجيلنا الصاعد هذا النموذج البطولي الحي ، نموذج الفتى العربي الذي لا يفتأ يهيب بفتيان العرب في كل زمن ان يتمثلوا بطولة الاجداد ، ليحققوا العزة الشامخة والامجاد الباذخة .

حلب   عادل الهاشمي

نـــــدم

البشير اديب

أعصري الوجد
فالشوق أضناك
وأشقاني

تنزى الرؤى في خاطرينا
أسرى سكون الموت
ظمأى الى اللقاء

لن تجود كبرياء الرغبة
فحبنا أعمق من لقاء
يخلد الحب بيننا
في أعماق الجفاء

تبقين لي كل معاني الهوى
وفي تشهي الحقد
أنا لك
عمق أعماق الرجاء

مآسينا مثلى
نقطع العمر بهزء الكبرياء
ونفوسنا ... يا لها طفلة
تبكي في وحدتها بدموع خرساء

ما الذي أماتنا
وخلد هوانا ؟

ليت الهوى مات
ولم يخلد سوانا

التربية الجامعية في الولايات المتحدة

بقلم يوسف اسعد داغر

قسم الادارة والتجارة

حدد احد الظرفاء الاعمال التجارية بكونها « اقدم الفنون واحداث المهن » . فالخدمات التي يوفرها هذا القسم لطلابه ووجوه الانتفاع منه عديدة لا يأخذها حصر ولا عد ، وتحقيقها ، على الوجه الاكمل ، يتطلب في من يتلقن هذه العلوم ، استعدادا طبيعيا واعدادا فنيا لا بد من توفرهما في من يبغي الفلاح في هذا المضمار ، ثم ان اتساع نطاق الاعمال التجارية والادارية وتشعبها على مثل هذا النحو في السنوات الخمسين المنصرمة ، اوجد شعورا بشدة الحاجة الى افراد تدربوا خصيصا في سبيل تامين الاعمال الادارية والتجارية التي لا بد منها لانتظام المجتمع وتامين ازدهارها .

واول مدرسة انشئت في اميركا لتدريس الاعمال الادارية والتجارية كانت مدرسة هوارتن التي رات النور عام ١٨٨٢ فرعا من فروع جامعة بنسلفانيا من اعمال ولاية فيلادلفيا.

كثيرة هي اليوم المدارس والمعاهد التي تؤمن لطلابها مقتضيات التدريب العلمي والمهني في الادارة والتجارة ، وهي معاهد تتراوح بين المدارس المهنية التي تتمتع باستقلالها الاداري بوصفها فرعا من فروع الجامعة ، وبين اقسام خاصة تابعة لدوائر العلوم الاقتصادية والتجارية في كلية الاداب والفنون . بين الفئة الاولى من هذه المعاهد التي تعمل ضمن الجامعة ، كليات لها منهاجها التعليمي المستقل الخاص . منها : كلية العلاقات الصناعية في جامعة كورنيل . ومعهد الادارة الصناعية التابع لمعهد كارنجي التكنولوجي ، ومعهد ماستوشتس التكنولوجي ، ومدرسة المبيعات بالغرادي في جامعتي بتسبرج ونيويورك .

اما الفئة الثانية من هذه المعاهد حيث مستوى منهاج تعليم الادارة والتجارة على منسوب ادنى ، فتتمثل على الاخص في المدارس الثانوية العليا (جونيور كوللجز ؛ وفي بعض المعاهد الخاصة لتعليم التجارة ، وفي المدارس التجارية العالية .

ان رغبة الطلاب في درس الادارة وتعلم التجارة تبدو على اشدها في ما نرى من اقبالهم على الجامعات والكليات واتكبابهم فيها على تحصيل هذه العلوم بمستوى التعليم الجامعي ، فبعد ان كانت نسبة الطلاب الجامعيين عام ١٩١٠ لا تتعدى ٣٦٠٠٠٠ اذ بهذا العدد يرتفع ليناهز ٣ ملايين طالب جامعي وهي نسبة لا نظير لها في اي بلد من بلدان العالم اليوم .

● راجع الاديب عدد فبراير صفحة ٢١

هناك تفاوت لعمري بين المناهج التي تعتمدها المعاهد في تعليم مادتي الادارة والتجارة ، من حيث الكم والنوع والوزن ، الا ان هذه المعاهد مجمعة في ما بينها على اعتماد تدريس بعض المواد الضرورية في نظرها ، كالاصول العامة للاقتصاد ، والاحصاء والمحاسبة والادارة والمالية . كذلك تفرض هذه البرامج التربوية اعطاء دروس تدور حول الوضع الاجتماعي والسياسي بحيث يتفهم ذهن الطالب الاوضاع المالية والاقتصادية والاجراءات الادارية العامة التي تلابسه او تحيط به .

كذلك يختلف نوع الشهادة التي يعطيها المعهد التجاري والاداري للخريجين . ومع ذلك ، فان اكثر من نصف المعاهد المرخص لها تعليم فرعي الادارة والتجارة في اميركا تعطي خريجيها شهادة بكالوريوس علوم في التجارة دون ان تشير من قريب او بعيد ، الى ناحية التخصص .

اما من يود التخصص بحقل التجارة من الخريجين الجامعيين فانه يجد امامه في علم الادارة برنامجين متباينين: اولهما متخصص ، والثاني عام . فعندما يأخذ فرع من فروع التخصص بالاتساع والتشعب ، يقتضي ذلك بالتالي القيام بمزيد من الدراسات والمباحث الخاصة . اما علوم الادارة العامة والاعمال ، فتعطى في الجامعات من طراز هارفرد وستانفورد وكولمبيا ، ضمن برامج التخصص التي تتجه من طلابه نالوا درجة جامعية في غير حقلي التجارة والاعمال الادارية . وهنالك بعض الكليات التي عرفت ان توفق بين المنهجين معا اي شهادة استاذ علوم في حقل التجارة لمن يرغب في التخصص ، وشهادة استاذ علوم في حقل الادارة في منهاج الادارة العامة .

اما التخصص بشؤون التجارة والادارة بعد نيل شهادة الاستاذية فيؤمنها نصف عدد الجامعات الاعضاء في الرابطة الاميركية لمعاهد التجارة . وتنتهي الدراسة فيها بايلاء صاحبها شهادة الدكتوراه . ففي اميركا ثلاث جامعات لا غير لها صلاحية اعطاء الدكتوراه في التجارة .

وتشعر معظم المعاهد المهنية بالتزاماتها نحو الفرع الذي تلقنه طلابها وبالواجبات المترتبة عليها في هذا المضمار ولذا نراها تنتهز كل مناسبة عارضة لتحسين برنامج تعليمه وادخال التحسينات المكملة لتامين خدمة المجتمع وحاجته . ومن بين هذه التطورات المستجدة في هذا الحقل البرنامج الوجيز المليء ، وهو برنامج يستمر العمل به بين اسبوعين و ١٠ اسابيع ويتجه خصيصا من ارباب الادارة الذي يعفون لمدة وجيزة من واجباتهم الادارية للانقطاع بكليتهم لتلقن المنهاج المذكور بجميع حذافيره وجميع مشتملاته . وبعض هذه البرامج شديدة التخصص بموضوع واحد معين بينما المناهج الاخرى ، تدور حول تحسين طرق الادارة ومذاهبها بنوع عام .

وهنالك برنامج خاص لاقتباس اصول الادارة والتجارة يجمع بين التعليم النظري والعملي ، فيخصص جانبا

من اوقات الدراسة للتدرب على العمل ، بحيث يطبق الطالب عمليا المعلومات النظرية التي يكون تلقنها في الدرس والصف .

اما الهيئة العليا الصالحة للترخيص بانشاء المعاهد التجارية على مستوى جامعي ، فهي رابطة معاهد التجارة في الولايات المتحدة .

وبين المنظمات الخاصة التي تعنى بامور تعليم التجارة والادارة الجمعيات التالية : الجمعية الاميركية للمحاسبة المالية ، الجمعية الاميركية لاساتذة التأمين على الحياة في الجامعات الاميركية ، الجمعية الاميركية للحقوق التجارية ، الجمعية المالية الاميركية ، الجمعية الاميركية للاسواق التجارية ، المكتب المشترك لرابطة الجامعات الاميركية لشؤون التجارة .

ان بعض هذه الهيئات والمنظمات انضم الرابطة الاميركية لمعاهد التجارة فتألف منها جميعا مجلس اعلى يشرف على برامج التربية المهنية الخاصة بالاعمال التجارية والادارية ويعنى بالمشكلات والقضايا التي تعترض تدريس هذه العلوم ، كما ويعنى بتقوية برامج الدراسة وتحسين العلاقات التي تشد من نواحي الاختصاص .

تعليم الموسيقى

يعنى معظم جامعات الولايات المتحدة الاميركية وكلياتها بالموسيقى علما وفنا ، وتؤمن لها نظريا وعمليا مستوى عاليا من الاجادة والاتقان . فليس من عجب والحالة هذه ، ان نجد في هذه المؤسسات التربوية الفرق الموسيقية الفنية واجواق المرتلين والمنشدين في المعابد القائمة على حرم الجامعات ، وغير ذلك من الهيئات التي تعنى بالفن الموسيقي على اختلاف مظاهره .

وفي عدد كبير من الجامعات الكبرى ومعاهد الموسيقى العليا برامج قوية تؤمن التخصص بفن الموسيقى لمن يرغب بذلك من الطلاب ، ويسعى للانقطاع بكليته ، لهذا الفن ، وذلك وفقا لبرامج قوية وغنية معا تتناول بالتفصيل والتبسيط والتيسير الموسيقى علما وفنا من الوجهتين النظرية و العملية ، وتاريخها والتأليف الموسيقي . ويتخرج من معاهد التخصص العليا بالموسيقى الوف من الضالعين بفنون الموسيقى ، فيعمل عدد كبير منهم اساتذة الموسيقى ، او مديرين للفرق الفنية ، لهم المؤهلات العلمية والتكنية ما يعدهم للاطلاع بادق البرامج الموسيقية المعتمدة في المعاهد الرسمية او في المؤسسات الخاصة .

وهذا الاهتمام البارز بفنون الموسيقى يبديه الشعب على اختلاف طبقاته ، والنشاط العارم الذي يتفتح عنه في جميع الاوساط ، جعل الناس يتجهون بانظارهم الى الكليات والجامعات بكونها المرجع الاكبر للموسيقى في البلاد وصاحبة القيادة والتوجيه في هذا المجال .

هناك شواهد تاريخية عديدة تدل على ان الكليات القديمة لم تهمل العناية بالموسيقى ولم تسقطها قط ، عبر تاريخها ، من اهتمامها الاثير . والثابت تاريخيا ان جامعة اوبرلين ، كانت السباقة بين الجامعات الاميركية الى انشاء اول كرسي جامعي لتعليم الموسيقى في البلاد سنة ١٨٣٥ ، واعطاء شهادة جامعية لمن ينهي بنجاح المنهاج التعليمي الموضوع لها . وفي سنة ١٨٣٧ اسست جامعة هارفرد الرابطة الموسيقية بعد ان كان سبق لها فانشأت ، منذ عام ١٨٠٨ ، الرابطة المعروفة بـ « الرابطة البيرية » (١) التي لا تزال مزدهرة فيها لليوم .

واول شهادة بكالوريوس في الموسيقى اعطيت في اميركا وزعتها جامعة بوسطن عام ١٨٧٦ وكانت كلية فسار اول كلية للاناث انشئت فيها دائرة خاصة الموسيقى عام ١٨٧٢ ، كما ان جامعة سمث انشأت كرسيا خاصا بتعليم الموسيقى على اساس جامعي ، عام ١٨٧٧ .

ومنذ ١٨٧٠ فصاعدا تاسست في معظم الجامعات معاهد او مدارس عليا تابعة للجامعة ، الدراسة فيها وقف على الموسيقى والتخريج بفنونها ، تكون فرعا او دائرة مستقلة من كلية الاداب والفنون ، يتولى التدريس فيها مشاهير اساتذة الموسيقى في البلاد واحيانا في الخارج . وتعليم الموسيقى والتخرج بها ينعم اليوم في الجامعات بما تنعم به المواد الدراسية في كلية الاداب والفنون .

ومن الامور المهمة التي استبدت باهتمام المعنيين بالموسيقى توفير الاختصاصيين من الاساتذة ليتولوا بكفاءة تعليم الموسيقى في البلاد . ومع ان تعليم الموسيقى انتشر العمل به في مدارس بوسطن الرسمية او العامة ، منذ عام ١٨٣٨ ومنها امتد الى مدن كثيرة اخرى في القاطعة فقد جرى العرف واستقرت العادة باناطة مهمة تدريب اساتذة الموسيقى الى دور النشر في البلاد . فقد كان لهذه الدور شأن يذكر في تطوير الموسيقى وفنونها ، وشحذ الهمم واذكاء التحمس لها بين طبقات الشعب ، اذ لم تكن الجامعات اضطلعت بعد بمسؤولية اعداد اساتذة الموسيقى .

وبعد ان قوي برنامج تعليم الموسيقى في المدارس العامة اشتدت بالتالي الحاجة الى تخريج الاساتذة اللازمين لتعليم هذا الفن ، وهو امر تجندت له الجامعة واخذت نفسها بتأمينه على احسن وجه . وعلى الاثر تألفت في الكليات والجامعات دوائر خاصة مستقلة لتعليم الموسيقى وتأمين الاختصاص بفنونها ، لها مناهجها وبرامجها المحددة ، واساليبها وما تحتاج اليه من عدة وعتاد واجهزة فنية لا بد منها للاستبحار بفنون الموسيقى ، نظريا وعمليا .

تؤمن الشهادات الجامعية بالموسيقى وفنونها في اميركا اليوم ، اربعة انواع من المؤسسات التربوية .

١ ـ المعاهد المهنية الموسيقية والمعاهد المعروفة

---

(١) نسبة الى بياروس ، مدينة في مقدونية ارتفع فيها اول معبد لتكريم الموسيقى في العالم .

بالكونسرفاتوار . من ذلك مثلا جامعة اوبرلين ، وجامعة بايل ، ومعهد جويليارد للموسيقى ، وكونسرفاتوار نيوانكلان للموسيقى . ومعاهد من هذا النوع والعيار الثقيل تحفل بمناهج تعليمية وتكنية قوية الغاية وفيها اقسام للتخرج واخرى للتخصص .

٢ — والنوع الثاني من هذه المؤسسات يتمثل في دائرة او فرع الموسيقى في الجامعة او في قسم الفنون الجميلة .. وهي دوائر واقسام تؤمن البرامج التعليمية الموضوعة فيها لتعليم الموسيقى اهم الموضوعات التي يتلقاها الاخصائيون بهذا الفن . وهذا النوع من المعاهد يتمثل في جامعة كنساس وجامعة ولاية ايوا وغيرهما .

٣ — والنوع الثالث من معاهد التخصص بفنون الموسيقى يتمثل بدور المعلمين ، فتوفر للراغبين في التضلع بالموسيقى من طلابها ، دروسا نظرية وعملية تطبيقية بالموسيقى وفنونها المختلفة .

٤ — اما الفئة الرابعة ، وهو النوع الذي يؤمن اكبر عدد من الشهادات الجامعية في حقل الموسيقى فيتمثل على اتمه في كلية الاداب والفنون ، حيث توجد دائرة خاصة تعنى بتعليم الموسيقى والتفقه بفنونها المختلفة . وهي تؤمن البرنامج المهني والمسلكي الذي تؤمنه المعاهد الموسيقية المهنية ، وان كان بساعات علامة اقل للموسيقى ، وبساعات علامة اكثر لبرنامج الاداب .

والابحاث العلمية في مجالات الموسيقى مرعية الجانب في اي من هذه الفئات او الانواع التي استعرضنا لها ، الا انها تتفاوت طاقة وقدرا ونوعا باختلاف الدرجات العلمية التي يطمح اليها الطالب او الراغب في التخصص . من ذلك مثلا ، ابحاث تتعلق بوجوه الموسيقى وفنونها في البلدان الاجنبية الاخرى ، ففي كل جامعة او معهد لتعليم الموسيقى قائم يوجد اساتذة زائرون وطلاب قادمون من بلدان اجنبية ، يكون وجودهم في الجامعة او المعهد حافزا على النشاط الموسيقي وباعثا له في حرم الجامعة او المعهد ، يتنزى بالفوائد الصحيحة التي تتصل بوضع الموسيقى في البلاد الاجنبية وسير الناس معها .

وقد كثرت امام الموسيقيين فرص العمل والاستخدام بعد طلوع عهد الراديو والتلفزيون . فالكنائس والمعابد تستخدم عددا كبيرا من العازفين على الارغن ، وكذلك اجواق المغنين والمرتلين ، والمعالجة بالموسيقى التي اصبحت حقلا جديدا من حقول الطبابة الحديثة . تستنفد بعضا من هؤلاء الاخصائيين بالفنون الموسيقية كذلك ان تكاثر الاجواق السمفونية والفرق الموسيقية في البلاد ، يفتح فيها فرصا متعددة للعمل ، امام النابهين بالموسيقى .

علم التدبير المنزلي

علم التدبير المنزلي هو من هذه العلوم الجديدة التي طلعت علينا بها الجامعات والكليات التي قامت اثر صدور قانون الوقفية الزراعية في اميركا ، فكانت جامعات : ايوا ، وكنساس ، والينوي ، اولى الجامعات التي اعتمدت تعليم التدبير المنزلي واحلته محلا لائقا من برامجها التعليمية ، واخذ تدريس هذا الموضوع يتطور بسرعة ، في الكليات الزراعية قبل غيرها ، ومنها انتقال الاهتمام به الى الجامعات الاخرى ، باستثناء عدد ملحوظ من كليات البنات الواقعة في الولايات الشرقية .

ففي ١٩٥٣ ، كنا نرى نحوا من ٥٠٠ جامعة وكلية تعتمد مناهج الدراسة فيها ، تدريس التدبير المنزلي ، مدة اربع سنوات تنتهي بالطالبة الى نيل شهادة بكالوريوس علوم في التدبير المنزلي ، اما كليات التعليم الثانوي العالي (جونيور كولدجز) وغيرها من المؤسسات التربوية العالية التي توزع شهادات جامعية في حقول اخرى ، فانها تدرس هذا العلم دون ان توزع على من تلقنه من طالباتها شهادات جامعية فيه .

فالبرنامج التعليمي الذي اعتمدته الجامعة لتلقين علم التدبير المنزلي انما استهدفت من وضعه ، تحسين مستوى الفرد والاسرة ، ولا يزال هذا الهدف بالذات احد الهدفين الاساسيين اللذين يتجه اليهما تعليم التدبير

المنزلي في الجامعة ، اما الثاني منهما فهو توفير الاخصائيات لاملاء المراكز المستجدة وتحقيق الخدمات التي تبرز في هذا الحقل ، من خبيرات باصول التغذية الصحية ، في المؤسسات التربوية العليا ، والمستشفيات وادارة بعض المعاهد الانسانية ، او في بعض المراكز العالية لدى صناعات النسيج والحياكة والالبسة او لدى الصحافة ، او لدى بعض المراكز الخاصة بالخدمات الاجتماعية .

وبرامج التدبير المنزلي التي كانت موضوعاتها من قبل محصورة ضمن نطاق الخياطة وطهي الاطعمة تشعبت اليوم وتعقدت بحيث اصبحت تتالف على الاكثر من دروس وموضوعات ترمي لانماء الشخصية في الفرد ، وتيسير علاقات الاسر بعضها ببعض ، ونمو الطفل ، وتشغيل راس المال ، وادارة المنازل ، والصحة المنزلية ، والسهر على صحة المرضى وتامين احسن وسائل التغذية ، وشراء المنازل ، وتفصيل الملابس وفقا للازياء ، واصول التغذية ، الى غير ذلك .

علم الكلام

علم الكلام من هذه العلوم الحديثة العهد طرات على برامج الدراسة الجامعية والتي ازداد الاهتمام بها كثيرا في الجامعات ، ففي الولايات المتحدة اليوم ١١٦ كلية وجامعة فيها قسم او دائرة خاصة لتدريس فن الكلام ، بينها ١٠٨ كليات وجامعات يوجد فيها برامج التخصص ، توزع على الفائزين من الطلاب شهادات تخصص عليا تتراوح بين الاستاذية والدكتوراه . ومن اصل هذا العدد ثلاث جامعات فيها كليات تقتصر مناهج الدراسة فيها على علم الكلام . هي جامعة نورث وسترن في شيكاغو ، وجامعة سيراقوزة في مدينة سيراقوزة من اعمال ولاية نيويورك ، وجامعة سوذرن ، في باطون روج من اعمال ولاية لويزيانا .

وبرامج التخصص بعلم الكلام التي تفضي بالطالب الشهادات الجامعية العليا ، لم تبتدىء الجامعات الاميركية بوضعها والعمل بتدريسها الا في مطلع القرن العشرين . وما أطل العقد الثاني منه حتى أخذت بعض الجامعات تفكر جديا باعداد الطالب هذا العلم للدكتوراه . فكانت جامعةايوا اول جامعة تنشىء هذه الشهادة ، كما انها كانت مع جامعة كورنيل اول من وزعت عام ١٩٢٦ مثل هذه الشهادة على مستحقيها .

وقد زاد الاقبال على دراسة هذا الموضوع كما ان برامج تدريس هذا العلم لحقها تغييرات وتعديلات متعددة في السنوات الاخيرة فبعد ان كانت الخطابة امام الجماهير والمناقشة العلنية والتمثيل المسرحي من الموضوعات الاساسية فى البرنامج المذكور ، نرى موادا جديدة تضاف اليها كفن الجدل ، وعلم الاصوات والنطق وامراضه ، وغير ذلك ، وكلها موضوعات تلقنها اقسام التخصص كما تدرس في اقسام كثيرة للطلاب الذين لم يتخرجوا بعد .

ثم ان التطور المطرد الذى طرا على اجهزة الراديو والتلفزيون ، حملت ادارة الجامعات على اضافة دروس خاصة تتعلق بميكانيكيات الراديو والتلفزيون وسيكولوجية الاذاعة ، والشروط التى يجب ان تتوفر في البرامج الاذاعية لتنجح ، وكلها موضوعات تتصل من قريب أو بعيد ، بعلم الكلام وقضايا السمع ، والقراءة الشفوية ، ووسائل الاداء ، وعلم اللغات وعلم النفس وعلم الاجتماع ، والانثروبولوجيا ، والفسيولوجيا والتربية وغير ذلك من الموضوعات التي تدخل في صلب علم الكلام .

وقد تالفت جمعية خاصة تعرف بالجمعية الاميركية لعلم الكلام اخذت على نفسها رعاية هذا الموضوع وتشجيع القيام بابحاث علمية دقيقة بشأنه ، وللجمعية المذكورة لجان متعددة نشرت حول هذا الموضوع مباحث اضافية كما وضعت في صميم أهدافها ايجاد مراكز عمل للاخصائيين بهذا العلم وتأمين الاشغال لهم والشرط الوحيد الذى تفرضه هو ان يكون الاستاذ عضوا في الجمعية المذكورة .

وبين الجمعيات والهيئات الاخرى التي تعنى عناية خاصة بفن الكلام الجمعية الاميركية للخطابة والسمع ، وهي جمعية تهتم بنوع خاص بامراض التكلم وشروط السمع ، ومنها الجمعية التمثيلية التى تهتم بنوع خاص باساتذة التمثيل والنشاط المسرحي .

وهنالك جمعية خاصة تعرف بالجمعية الاميركية للتربية والتعليم بواسطة الراديو ، والجمعية الاميركية لقسم العلاقات الاجتماعية ، والجمعية الاميركية التي تعنى بوسائل الاداء والتبليغ والاتصال على انواعها .

واول جمعية انتظمت في عضويتها اساتذة هذا العلم هي الجمعية الوطنية لاساتذة علم الكلام ، تاسست عام ١٩١٤ ، التي تتولى اليوم اصدار مجلة فصلية وهي مجلة علم الكلام .

يوسف أسعد داغر

قارىء الكف

بقلم علي بدور

قصة

خلال وجودي في القاهرة وفي احدى المناسبات التي حضرتها ذات يوم في قصر النيل ، جلست الى جانبي فتاة سمراء ممتلئة قليلا . كانت الفتاة متحمسة لقصائد الشعراء والحماسية منها بوجه خاص . وفي فترات الاستراحة تبادلنا الحديث ، فعرفت انها طالبة في كلية الآداب التابعة لجامعة عين شمس في شبرا ونسيت اسمها الذي تقدمت به تعرفني بنفسها . لعلها سعاد او فتحية ، لست ادري الان ، فلقد مضى على هذا اللقاء قرابة عام .

وفي ختام الاحتفال دعتني الانسة لزيارتها في الكلية، وكتبت لي العنوان والتاريخ الذي ستكون فيه عصر ذلك اليوم هناك ، لنحضر معا احتفالا مماثلا ولكن مستوى طلاب الجامعة . وقد وعدتها بالحضور في الوقت المعين لي في البطاقة .

ولا ادري كيف فقدت البطاقة التي كتب فيها تاريخ الدعوة ، وان كان قد بقي في ذهني ان الكلية ، كلية الاداب ، وان الحي حي شبرا . فلما ذهبت لم يكن هناك اية دلالة على احتفال .. لا قبل ولا في ذلك اليوم .. قال لي احد الطلبة ، ان الاحتفال قد اجل ، وسيعلن عنه في يوم آخر . وحتما سعاد صاحبة الدعوة لم تحضر في الموعد المحدد ؛ وكانت الساعة قد بلغت الرابعة بعد الظهر ... وكنت قد مضيت ساعة في الطريق ، من ميدان التحرير الى شبرا في حافلة متعبة امتلأت بالموظفين والطلاب والباعة ، فقلت ماذا لو استرحت قليلا ، فوجدت جوانحي كلها تصفق لهذا الاقتراح المريح !

كان في الباحة بضعة طالبات وطلاب وكان امامي الى جانب الحائط جناح من الظل .. وفي الظل تمدد مقعد دون ان يشغله احد فشغلته . ومر امامي عامل بوفيه الكلية فطلبت منه بعض السندويشات لقد كان يحمل طلبات مماثلة لبعض الطلبة ..واخذت اتسلى بمراقبة قوافل الطالبات والطلاب ، وهي تدخل الكلية او تخرج منها ، والضحكات تملأ ساحة الكلية فكان شموعا مضيئة قد غرست في كعكة الميلاد ، لم البث وحدي طويلا ، حتى حضرت فتاة لا تحمل كتبا ، ولكنها كانت تحمل حقيبة يد بيضاء ، وتلبس حذاء ذا كعب عال .. ثم تبعتها فتاة ثانية ، جلست الى جانبها، في الوقت الذي كان ظل الجدار يمتد على شكل جناح يوفر للمنضوين تحته كثيرا من الامن والهدوء ، وبدات كل منهما تتحدث الى زميلتها حديثا ناعما .. كان ينتقل منه الى اذني ، كما لو ان انسانا مر بجانب حمام سباحة فاصابه رذاذ ناعم بارد في يوم قائظ ! وتشعب بهما الحديث حتى طال الغائبين والغائبات الى ان وصل الى الحاضرين ، وبدا الهمس الناعم يصلني كأنه فعل الانسام في اوراق الاشجار .

كان شكلي ومظهري لا يدلان من قريب او بعيد انني من طلاب الكلية. فلما عاد عامل البوفيه حاملا السندويشات ، طلبت منه كازوزة ، فعاد بثلاث ، قدمها الينا ، ولان احدى الفتاتين اعترضت فقال العامل :

ـ ان الاستاذ طلب الكازوز

فقلت له قبل ان اسمع جواب الانسة :

ـ قلت لك واحدة .. على كل...

والتفت الى الانسة اكمل حديثي

ـ ارجوك اذا لم يكن عندك مانع ان تقبليها ؟

فلما عرفت الفتاة انني من الاقليم الشمالي بسبب لهجتي الشامية ، ابتسمت وقالت :

ـ اقبلها شرط ان تكون بضيافتنا!!

فقلت وقد عاودني الابتسام :

ـ ولكن اعجلي بشربها قبل ان تفقد سحرها !

... وكان ان اتصلت حلقة الحديث !!

كانت « الشلة » متواعدة على اللقاء في الكلية ، لرغبتهن في الاحتفال مساء ذلك اليوم بتخرجهن اونجاحهن في قسم الاجتماع ، انهن اربع فتيات، وفي خلال الحديث قالت احدى الاثنتين :

ـ اننا ننتظر سامية .. انها من الاقليم الشمالي ، بيضاء .. شقراء .. زرقاء العينين ، وسوف تراها الان :

فاجبتها مازحا :

ـ انني قادم لرؤيتها . انني احمل لها بعض المال الذي ارسله اهلها !

فردت الثانية :

ـ انا حسبتك اخاها !

وبينا كنا نتبادل الحديث عن الكلية والدراسة والمستقبل ، ونقارن بين الاوضاع في اقليمي الجمهورية والطريق السليم الذي تسير فيه خطة توحيد القوانين والمناهج في كلا الاقليمين ، اقبلت علينا فتاة شقراء جميلة، رأيت شبيهة لها ذات عام في جامعة دمشق، فلما وصلت حيت باكثر من ابتسامة وعندما جلست ، قدمتني اليها احدى الانستين :

ـ الاستاذ خالد كرم من اخواننا في الاقليم الشمالي ...

ثم التفتت الي قائلة لي :

ـ الانسة سميرة ، مصرية ..من القاهرة !

وانفجرنا جميعا في ضحكة بيضاء، كانت اشبه بموجة رقيقة من ماء عذب غمرت رؤوس السابحين في بحيرة مغلقة . وبعد هنيهة اقبلت الزميلة الاخيرة ، فاصابها بعض

رذاذ الموج الرقيق ، واكتمل بحضورها .. النصاب !!

لا ادري كيف بدأ الحديث عن الحظ والتطلع الى المستقبل ، ومعرفة الاسئلة والناجحين قبل اعلان النتائج ، وكان راي بعضنا ان ذلك خرافة ؛ وراى بعضنا الاخر انه حقائق ينقصها من يؤمن بها ، واحسست انني اعود الى الجامعة من جديد ، وان الزميلات والزملاء ، حولي يستمعون الى قصصي عن المستقبل ، وعن حظوظهم ، في فناجين القهوة .. او الاكف الناعمة ، وحتى فناجين الشاي او اكواب الماء الصافية !

ولكن الفتيات الناجحات اردن منازلتي . فانكرن كل ذلك .. حتى من كان فيهن يعتقد بامكان قراءة صفحة الغد ، ومعرفة ما تكنه النفس وما تنطوي عليه الجوانح ، قد انخرن الى جانب المنكرات ، فلم يبق علي الا ان اقبل التحدي واكون لهن قارىء الكف !

حاولت الانسة الشقراء ذات الملامح الشمالية ان تمد يدها ، فتاملتها .. كانت مثل خريطة ناعمة صغيرة رقيقة ، قد رسم خطوطها مبدع بريشة سحرية .. واشفقت على الخريطة الرائعة ان تعبث بها الريح فقلت لها :

ـ يكفي .. لقد رايت كل شيء .. ارجو من انستي ان تطويها ...

ولكن الزميلات اصررن على ان تظل يدها مفتوحة امامي لاحدثها .. كانت سميرة مخطوبة لشاب موفق في حياته يقيم في السويس بحكم عمله . وكانت هي اشبه بورقة خضراء تسبح على صفحة من الماء الصافي . وكانت الانسام تهدهدها ، فتبعث في الماء ، الشعور بان السرير الناعم ، يحمل الطف المواليد التي لا تزال في تضاعيف الغيب ، وقد تملكتني الحيرة ، ولكن سرعان ما تفجر ينبوع الالهام في صدري فقلت لها :

ـ انك ستنجحين دائما .. ولكن لا ادري اذا كان عندك فكرة واضحة عن الحياة مع خطيب وزوج ؟ انك يا سميرة كقطعة السكر لا يمكن ان تبرهن على حلاوتها الا اذا القيت في فنجان الشاي . فحاولي ان تتاكدي من فنجان الشاي اذا اردت ان تلقي بنفسك فيه ، قد تعجبين بالشاب لمظهره الرياضي القوي . ولعل خطيبك كذلك ، ولكن ارجو ان يكون اعجابك بجوهر المظهر ايضا ، ان البيضة ذات قشرة رقيقة ولكنها تحفظ الكثير ، حاولي يا آنستي ان تتاكدي مما يكمن خلف الغمام الابيض .. والبياض ليس واحدا .. هناك رخام للقبور ، ورخام تصنع منه تماثيل للخالدين .. وبين بياض الثلج ، وبياض الياسمين ، العطر الذي تسكر به ارواحنا في الحياة ...

ظللت احدث سميرة ربع ساعة عن نفسها وشخصيتها ومستقبلها .. وشعرت انها اخذت بالحديث . وكانت زميلاتها يصغين الي وانا احدثها ، وهن في انتظار دورهن ، وبدات احدث الثانية .. كانت طويلة سمراء ذات عينين واسعتين ، وشخصية متميزة ، تحب التعب في كل شيء .. حتى الحب ينبغي ان يكون عندها مسبوقا بالعذاب الهادىء ، لانها لا تحب الاشياء السهلة على حد تعبيرها .

ومضيت احدثها عن نفسها واحوالها وقضايا حياتها معتمدا على ادق الاحصاءات التي كان مظهرها يسرها لي ، بالاضافة الى اسلوبها في الحديث ، وحكمها على الامور ..

كانت واثلة ، تضحك احيانا واحيانا تغرق في الصمت ، كلما كان الموقف يتطلب منهن ان يصخبن او يلذن بالصمت العميق . وعندما جاء دور الثالثة .. كانت على وشك ان تثور لرغبتها في معرفة شيء عن سهرة المساء المنتظرة . انها تعيش يومها فقط . تنسى الماضي ما دام لن يعود ، ولا تسال عن المستقبل ما دام لم يطل بعد . انها امراة بحق . وكانت شخصيتها الواضحة متجلية في عينيها السوداوين الواسعتين ، وفي رغبتها واستطاعتها السباحة بلا بلل والتخلص من المازق ، وقدرتها على العيش في كافة الاجواء .. وكانت فوق ذلك كله ، شابة جميلة ينتظرها مستقبل طيب ، سواء في الحياة العملية ، او منزل الزوجية .

كنت خلال الحديث اتذكر انني قضيت في القاهرة شهرا او يزيد . شعرت بالوحشة في بعض ايامه ، وبالانس والمسرة في بعضها الاخر . وكان ذلك اليوم من الايام التي لا تنسى ؛ اذ كان حولي اربع فتيات مخلصات لانفسهن ، ولمستقبلهن ، يحببن في براءة وطهر ، ان يسمعن شيئا عما تحويه مرآة الغد من اخبار ، وما يمكن ان تنطوي عليه اعماقهن . وكنت في شوق لا يحد ، لان تكون بجانبي ايضا ، فتاتي التي عرفتها في جامعة دمشق ثم انتقلت الى القاهرة لتتابع دراستها الجامعية ، كانت هي الاخرى تسر بحديثي عنها وعن مستقبلها ..

كان حديثنا عن المستقبل حديثا عن شيء مشترك بيني وبينها ، يمكن ان نبنيه معا .. قد لا نلتقي لفترة طويلة هي هنا وانا هناك في الشمال ؛ ولكننا اذا بقينا مخلصين في اتمام البناء ، فسوف يقرب بعضنا من بعض ، هذا البناء ، ذات يوم .. ولكن اين هي اليوم .. انني رغم معرفتي بشيء بسيط عن مبادىء التطلع الى المستقبل في الاكف الناعمة او الوجوه الباسمة ، ابدو عاجزا عن معرفة مكان فتاتي التي كنت في شوق لا يحد لرؤيتها . لقد قطعت رسائلها فجاة .. وغابت في جانب من غمام الافق العريض !

حاولت احداهن ان تمازحني فقالت :

ـ وانت من سيعرف مستقبلك ومن سيحلل لنا شخصيتك ؟

فقلت دون ان اتطلع الى وجهها بكل عيني :

ـ لن يحذر احد شيئا .. لانني انسان بلا مستقبل !

لم اكن اقصد التمثيل بين ايديهن .. فقد كنت حقا لا اعرف ما ينبغي

علي ان افعله من اجل مستقبلي .
كان مفتاح مستقبلي ضائعا مع فتاة الجامعة التي عرفتها بدمشق ثم جاءت الى القاهرة ووعدتني بأن لا تزور الهرم الا في صحبتي .. واليوم ماذا ينفع البحث في قصر مغلق ، بقي مفتاحه في يد وفية ؟

وشاءت الفتاة الشقراء الجميلة ان تعلق على عبارتي الاخيرة عن المستقبل :

ــ المستقبل ليس شيئا قائما بذاته .. اننا نحن الذين نصنعه !

فاحسست ان قطعه السكر قد القت بنفسها في فنجان من الشاي الفاخر .

فرددت عليها :

ــ لقد صنعته يا آنستي ذات يوم .. ثم ضاع مني فهل اصنعه ثانية ؟

فاجابت عنها الانسة التي تحيا يومها فقط !

ــ هناك في برامج في الدراسة .. اما في الحياة ، فايام فحسب .. ان المستقبل احساس فطري صقلته الحضارة ، فغدا جزءا من وجودنا الاجتماعي . والمستقبل الحقيقي ليس في اليوم الذي قد ياتي .. انه أحيانا في اليوم الذي مضى !

فاحسست ان علي ان اصمت . وشعرت بضرورة الصمت عندما قالت من لا تحب الاشياء السهلة :

ــ لعل الاستاذ قد وجد في القاهرة ما هو بحاجة اليه ؟

فلم اجبها .. لقد اكتفيت بابتسامة هادئة . لقد شعرت ان الانسة اوشكت ان تتقن مهنة الكشف عن معادن الاخرين !

كانت الشمس تنحدر الى المغيب لتنام على وسادة الليل . والكلية كادت ان تفرغ من روادها الطلبة ، فقمت مودعا .. ولكن الفتيات حاولن تأخيري ، فاعتذرت ، فما كان منهن الا ان قمن ايضا .. وعلى باب الكلية وقبل ركوب الحافلة الى ميدان التحرير قلت لهن :

ــ ارجو ان تتركوا لي حصتي من الشاي في حفلة المساء !!

ومضت الحافلة عائدة بي من حيث اتيت . كانت الاضواء تضيء بعض واجهات المحلات في الشوارع ، وفي خيالي تعيش اربعة اطياف ، وقفت على عتبة المستقبل ، رايتها ذات يوم بناء على موعد في شبرا . وتذكرت الفتاة التي كانت بجانبي في قصر النيل .. تلك التي وعدتني الحضور ولم تحضر . لعلها كانت تعتقد ان يوم الحفلة لم يحن بعد .. ولا ادري كيف اردت ان اشكرها . لقد يسرت لي الاجتماع باربع آنسات رغم تخلفها .. فيا لها من فتاة كريمة تخلف موعدا .

حمص — علي بدور

القلب المسن

قلبـي المريض
يا عربة عمياء تعبت منها الدروب
كف المسير
فالدفء مات في عروق نشيدك الناري ..
قلبي الشريد
يا شراعا مزق خيوطه الضياع
احلم باقسى فراش على صخرة برية عجوز
فميناء القريب خليج منائره ظلام واحزان
قلبي اليتيم يا فراشة ناعمة
نقرت صدرها عصافير القساوة
لم وريقاتك المغروطة سلة ذكرى
فقد يطول بك المطاف
حتى تبدا مهزلة النهاية .
قلبي العميق الفراغ
يا نسمة مسلولة اكلت رئتيها الرمال
غن الاخضرار في ليالي امانيك الشهيدة
فالاذكار لقمة الالم الطيبة ..
قلبي المتصابي
اشلح كبرياءك في حضن النار الجائعة
فقد تغدو قصة مخضوضرة
في السنة اللهيب ..
حبيبتي ..
هذه حكاية القلب الذي تنشدين
قلبي المسن الذي لم يعد قادرا
على التنفس
دعيه يغرق
في لجج التعب الاخير رويدا
يتسلى برؤية نهايته منفردا
وانشدي شاطئا جديدا من الامال
لم تدنسه بعد اقدام الخطاة
حيث القلوب البكر البيضاء تتشاءب فيه
والبهجة مـلء اعطافها
وهي تغني الحياة
بحرية ونشوة وانتظار !..

ضهر صفرا — غسان طربيه

غداً تبكين

غـــدا ..
عندما تتلاشى الذكريات
وتنطفىء شموع الغرور
تبكيـن
وتتوجعيـن
وتقـولين :
اين انت يا ضحكة الصباح
يا حبي الذي يفرش
دربي الابيض بالجراح
يا من رافقت خطواتي المتعثرة .
تحت رخامة القمر
وحكيت لي أجمل حكاية
قبل ان يدركنا الهواء الرطيب
والرقيـب .
غـدا تبكين
وتندبين
تندبين الفراق الاليم
ثم تجمعين
بنات الحي في حديقة الرياحين
وتقصيـن
ما تريـدين
وتقـولين كان ..
كان هنـاك حبيب
يغمرني بعطفه العجيب .
كأنه من فرط ما يحبني بحر حنان
غدا تودعين الجامعـة
وتعترفيـن
انك لم تكوني له وفيـة
انك قطعت حبل المرح
ورشقت ايمانه بالحجار
انك نفثت السموم في محاجر النهار
وحنثت بعهد الحب البريء
والفـرح
وهتفت لمولد الخطيئة والصغار .

ابراهيم عبـده الخوري

غــدا نلتقــي

مجموعة قصص ـ تاليف منور فوال ـ ١٥٦ صفحة
ـ منشورات دار المعري ـ مطبعة المفيد الجديد بدمشق

من الظواهر الحديثة اليوم بروز الادب النسوي بشكل يسترعي الانتباه ويجلب الحس .وكنا ـ حتى الامس القريب ـ نفتقر الى الادب النسوي بشكل عام ، والى القصة التي تعالجها المرأة بشكل خاص . والمرأة كانسان رقيق الحس ناعم المشاعر طيب العاطفة اذا ارادت ان تحدث في موضوع جالت فيه وصبغته بلون عاطفتها واضفت عليه حسا جديدا ومشاعر مرهفة .

طالعت بالامس مجموعة قصص جديدة للاديبة الشابة منور فوال وكنت ـ فيما مضى ـ قد طالعت لها مجموعة قصصية في كتاب ، واكثر من قصة في مجلة او صحيفة . واعجبني في الاديبة حرصها الشديد على الحرف الذي ولد في قلبها ولادة وعاش في دمها ذوبا من اندفاع وحرص وايفاء دين .

ولست بصدد أعمالها السابقة . فقد تناولت يوما « دموع الخاطئة » وتحدثت عنه في اسهاب وتطويل وبينت اكثر من نقطة ضعف فيه واوسع من ثغرة تطل على ضعف في البناء القصصي او في الحادثة الفجة او في العمل غير الناضج . وتعمدت فيما مضى ان اكون قاسيا لان القسوة في بداية الطريق تاخذ بالمرءدوما ـ اذا كان عاقلا ـ نحو الغاية الحسنة والنتائج الطيبة .

وشعرت ، وانا اطالع «غــدا نلتقــي» ان الاديبة الشابة لم تقف في مكانها منذ سنوات ، انما مشت ، ومشت باناة وحرص وصبر ، ووصلت اليوم الى المكانة التى كانت تحلم بها يوم اصدرت « دموع الخاطئة » ولا احسب ان كاتبا فنانا يرضى ان يظل في مكان واحد لا يبرحه على طول الزمن وملتقى الايام ، وحسبي ان الانسة الكاتبة ستسير غدا نحو مجد جديد ينيره لها ايمانها الصادق وعزيمتها الاكيدة ودينها الثمين للحرف المقدس .

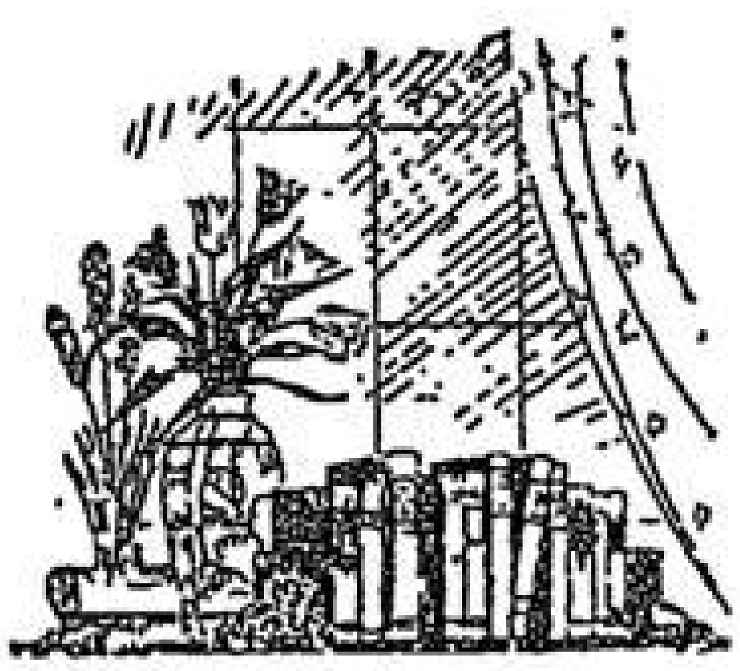
واحب ـ قبل ان اتحدث عن الكتاب او اوضح بعض الشيء : انطلقت المرأة اليوم في تحقيق جزء من الفكر الحديث ، ووجدت ان هذا الجزء تفي به القصة ايفاء جذريا يمكنها من الاعراب عن مشاعرها وغايتها وفكرة تتبناها ، ووجدنا مجموعة من القصص تؤلف قطاعات مختلفة الاهواء متباينة المقاصد . ظهرت في القاهرة جاذبية صدقي ، وفي بيروت ليلى بعلبكي ، وفي دمشق كوليت سهيل ، وفي بغداد سافرة جميل حافظ ، وكل كاتبة من هؤلاء لها طريقها ولها السبيل الذي تنفذ منه الى الموضوع الذى تتبناه .

انطلقت جاذبية صدقي ، واتخذت من الصراحة والصدق العاطفي منهجا لقصصها حتى انها ضحت في كثير من الاحيان بالقالب القصصي في سبيل حرصها على الاداء الفني السافر بلا قناع وبلا ستائر ... وقصص جاذبية صدقي تتجه اتجاها عميقا نحو معالجة قضايا المرأة العاطفية والجنسية معالجة فيها الكثير من الصراحة والكثير من الانطلاق .

وظهرت ليلى بعلبكي في كتاب احدث ضجة لا تنسى وهو « انا احيا » احيت فيه الروح الغربية في شخصية الفتاة الشرقية ، واعطت للمرأة حقا في الحياة .. وكان هذا الحق اكبر من طاقتها فناءت بالحمل ، وقد كان حملا ثقيلا اثقل كاهلها واتعب راسها وصدرها وخافقها . وسارت ليلى في ـ انا احيا ـ باتجاه جاذبية صدقي ...ولكنها تخطت عنها وتركتها عند نبع صغير .. وراحت ليلى نحو البحر ووقفت تجابه الموج وتصارع جبروت الطبيعة بعزم وايمان.

اما في دمشق ، فقد ظهر « ايام معه » لكوليت سهيل ، وهو الكتاب الذي يحمل سر رسالة المرأة منذ الابدية .. ويقف بها عند نقطةالانطلاق

الأديـب



⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.
في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

⊙

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

⊙

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — Direc : 23819
المنزل ٢٥١٣٩ — Dle : 25139 — Tél.

⊙

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

او البداية نقطة الحب .. فالحب عند كوليت ليس بالحل الذي تنتظره المراة منذ الاعوام البعيدة ، انما الحل الذي عجزت عن توضيحه الكاتبة نفسها هو التخلص من القلق الذي يعيش فيه قلب الفتاة اليوم . وعبرت كوليت عن قصتها عن عواطف صادقة دقيقة ، ولكنها لم تستطع أن تقف امام ليلى بعلبكي من ناحية الصراحة البعيدة التي جعلت من ((انا احيا)) اثرا لا يفنى . ونحن نلمح بوضوح ظاهر بعض القيود التي التزمتها كوليت في ((ايام معه)) وكان من هذه الناحية فقط يشعر بالنقص في الاداء الصحيح للفكرة التي تعيش في قلب حواء .. وليس هذا عيبا فنيا مطلقا ، ولكنها طريق جديدة سارت فيها كوليت ..ووصلت .

اما الكاتبة الاخيرة في هذا التقسيم فهي الاديبة العراقية سافرة جميل حافظ ، وسافرة كتبت القصة القصيرة بامعان شديد وحرص اشد ، ووقفت الى حد بعيد في التعبير عن امراض المجتمع التي اعتبرتها هي من اصعب الامور في البحث و التدقيق ، وسافرة تقف معاكسة في طريقة تعبيرها القصصي امام ليلى بعلبكي من جهة وامام كوليت من جهة اخرى . فسافرة لا تستطيع ان تتحرر من قيود المجتمع فتظل في حرصها الشديد على معالجة الامراض الاجتماعية المختلفة بطريقتها هي .. فالخروج عن المالوف طريقة ابعث الى الدراسة والمعالجة مما ستتناول به موضوعا من المواضيع مهما بلغت دقته أو بساطته .

وتاتي في زمرة سافرة جميل حافظ اديبات ينهجن نفس النهج ويسرن بنفس الطريق ، ولا يزال المجتمع بكل تقاليده المتوارثة يربطهن ربطا يكاد يقف بهن عن الحركة لولا القوة الكامنة الشديدة في نفوسهن والتى تحطم كل سد . ومن بين هؤلاء الاديبات الانسة منور فوال .

ومنور فوال اخذت على عاتقها معالجة الوان مختلفة من فنون القصة، ولكنها لم تستطع ان تغوص الى اعماق المراة غوصا عميقا ، وما اروع الكاتب الذى شبه المراة بالبحر العظيم . فالتقاليد والعادات والعرف الذى يقيد الفتاة الشرقية تقييدا وثيقا ، يجعلها تقف ــ وهي كاتبة كذلك ــ عن ان تجتاز الحدود لئلا يقال عنها ما قد يقال ... وتكتفي بان تعالج في صبر وتتحدث في اناة ، وتعتقد ان هذه الطريق ، رغم بعدها ستوصل يوما الى الغاية والمقصد .

لااستطيع ان اقسم قصص الكتاب الى لون واخر .. ولكنني استطيع ان اقول انها كلها تحمل الطابع الانساني المغلف بغلاف شفاف رقيق من الحب والرغبة . ومعذور كاتب القصة اذ هو اتخذ من الحب منبعا لقصصه ، فالحب هو اساس الحياة كما اجمع على ذلك اهل الفكر والقلم . و ((غدا نلتقي)) تحمل الوانا من الحب ، حب الفن والريشة والالوان في غدا نلتقي ، وحب القلق الدائم في ((قلق مستديم)) وحب الحب في صوره الرائعة في ((ظلال الحب)) وحب الطفولة وحب الامومة وحب المجتمع . كل هذه الالوان من الحب تجدها في قصص ((غدا نلتقي)) .

وموضوع القلق بصورته الكئيبة المفنية يحتل جانبا غير يسير في قصص الكتاب . ولعل هذا القلق هو الصورة الواضحة الكامنة في اعماق نفس الفتاة الشرقية التي تعيش بالعادات وتاتمر بالتقاليد وتخضع للعرف بالرغم من سير الحياة سيرا حثيثا متواصلا . ولعل هذا القلق مصدره الاول والاخير للمجتمع الذى نعيش فيه ولا نستطيع ان نبدل في صوره المتباينة شيئا ، مهما بلغت بنا درجة التطور .

ففي قصة ((غدا نلتقي)) فنانة رسامة تعيش في جو مشبع بالفن والعبقرية ، احبت منذ القديم شابا ((سعد)) ولكن هذا الذى وهبته قلبها وحبها كفر بالحب ، فكرهت الرجال .. ورسمت لوحة حملتها رايها في الحياة واسمتها (غروب) . وتتعرف يوما على شاب (غانم) وتتمثل في حبها الازلي ، حب المراة للرجل .. ولكنها تعيش على قلبها فتابى بكل اعتزاز ان تنساق لعاطفتها ، ويحاول (غانم) ان يحاربها بنفس سلاحها فيرسم لوحة تعبر لديه عن التفاؤل والحياة وتكون (شروق) ولكنها .. رغم تمثلها في غانم حبيب العمر تفضل ان تعيش على نفاية قلبها وتمتص منها الايام رحيق الحياة ، وتنتظر بقلق اسود النهاية ، نهاية الغروب ..

فهذه القصة تعطي انموذجا واضحا لنوعية الحب المقيد الذى تعيشه فتاتنا الشرقية بحرص وعناية . ولعل الكاتبة الشابة ارادت ان تعطي رايها صريحا من غير شائبة فساقت على لسان احدى بطلات القصص هذه العبارة : ((... كنت اتلظى في حوض الحب ولا اجرؤ على ذكره ، فان الشرائع البشرية تكبل حرية المراة من ان تحب وكانها قطعة من جليد تعوزها الحرارة او من جماد لا يتحرك مهما عابثته الرياح ، اما انا فكنت ملحدة بهذه الشرائع . كافرة بها ، لم الق لها بالا . فاني اعتبر وجودي جزءا من الانسانية ، والانسانية لا تخضع للشرائع الوهمية .))

والقول ، اخيرا ، نحن لن نكفر بالشرائع البشرية .. ولكننا نريد التحرر من القيود التي حلقنا فوجدناها في ايدينا اطواقا من ذهب .. نريد التحرر باتزان ومنطق سليم حتى لا تلوح امامنا يوما . . الهاوية . نريد من المراة ان تكتب في القصة ما دامت اعتبرت ان القصة خير طريق للتعبير عن العاطفة والاشياء المكبوتة الاخرى ، نريدها ان تكتب بمنطق وبتحرر فكري وباتزان عقلي لا جمود فيه ولا تحجر . وما زالت الطريق مفتوحة .. وما زالت المراة المراة.

حمص — عدنان الداعوق